قوله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا

فأكمل مبتدأ وأحسنهم بضم النون خبره

هذه أمثال القرآن للشيخ محمد بن أبي بكر
المعروف بابن قيم الجوزية
أكرمه الله تعالى ونفع به
آمين

لكاتبه عفا عنه ويعاتب نفسه

يا نفس لا تقنطي إن رحمة الله واسعه
ومن عفوه لا تيأسي فإن الآخرة شاسعه
فكيف لا يرجى بر من وآياديه فضله كامله

ليس الذي من بالإسلام حذيفة بأن يغرر فيه
على قبل معرفة الأحكام وقد خلني بمعه دار السلام

فهرسة ما في هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل ومن هذا ما وقع في القرآن من الامثال التي لا يعقلها الا العالمون فانها تشبه شيئا بشيء في حكمه وتقرن المعقول من المحسوس احد المحسوسين بالآخر واعتبارا احدهما بالآخر كقوله تعالى ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون الى قوله ان الله على كل شيء قدير فضرب الله المنافقين بحسب حالهم مثلا نارا ومثلا ماء نارا لما في النار والماء من الاضاءة والاشراق والحسوة فان النار مادة النور والماء مادة الحياة وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي انزله من السماء متضمنا لحياة القلوب والاستنارة بها وهذا اسماه روحا ونورا وجعله قابليه احيا في النور وهم لم يرفعوا برؤسهم اموات في الظلمات واخبر عن حال المنافقين بالنسبة الى حظهم من الوحي وانهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا الاسم دخل في الاسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به واستناروا وخالطوا المسلمين ولكن لما لم تستصحبهم مادة من قلوبهم من وقوع الاسلام طفئ عنهم وذهب الله بنورهم ولم يبق بايديهم فان النار فيها اضاءة والاحراق فاذهب الله بما فيها من الاضاءة وابقى عليهم ما فيها من الاحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من البس عمى وعرف ثم انكر ودخل في الاسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع اليه ولهذا قال فيهم فهم لا يرجعون ثم ذكر حالهم بالنسبة

الى المثل

الى المثل الماءى فشبههم باصحاب صيب وهو المطر الذى ينصب من
السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم
اشتبهت عليهم زواجر القرآن ووعيده وهديده وأوامره ونواهيه
هذه وضرب الذى يشبه الصواعق فى قلوبهم كل من اصابه مطر
فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعفه وخوره جعل اصبعيه
فى اذنيه وغمض عينيه حتية من ما عنه يصيبه وقد
شاهدنا نحن وغيرنا كثيرا من مخانيث تلاميذ الجهمية والمبتدعة
اذا سمعوا شيئا من ايات الصفات واحاديث الصفات النافية
لبدعتهم وآرائهم عمدوا عند ذلك الى اصابعهم فجعلوا
يدخلونها فى اذانهم سدوا عنا هذا الباب واقل شيا غير هذا اوثر عندهم
وهو لم يخاطبهم بذلك لتعقل معرفة الرب تعالى واسمائه وصفاته
وافعاله ولم يجمع كذلك المشركون على اختلاف اشركهم اذا جرد
لهم التوحيد وتليت عليهم نصوصه المبطلة شركهم اشمأزت قلوبهم
وثقل عليهم ولو وجدوا السبيل الى سد اذانهم لفعلوا وكذلك
كلما عدا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعوا نصوص
الثناء على الخلفاء الراشدين وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثقل عليهم جدا وانكرته قلوبهم وهذا كله شبه ظاهر ومثل
محقق من اخوانهم من المنافقين والمثل الذى ضربه الله لهم بالماء
فاهم لما تشابهت قلوبهم تشابهت اعمالهم

فصل

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المثلين الماءى والنارى فى سورة الرعد

ولكنه في حق المؤمنين فقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء
حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل
فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك
يضرب الله الامثال شبه الوحي الذي انزله لحياة القلوب والاسماع
والابصار بالماء الذي انزله لحياة الارض بالنبات وشبه القلوب
بالاودية فقلب كبير يسع علما كثيرا كالوادي الكبير يسع ماء كثيرا وقلب
قلب صغير انما يسع بحسبه كالوادي الصغير فسالت اودية بقدرها
واحتملت القلوب من الهدى والعلم بقدرها وكما ان السيل اذا خالط
الارض ومر عليها احتمل غثاء وزبدا فكذلك الهدى والعلم
اذا خالط القلوب انكر ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويذ
هبها كما يثير الدواء وقد شربه من البدن اخلاطا فيتكبر بها شا
ربه وهو من تمام نفع الدواء فانه اذا ثارها ليذهب بها فانه لا يجا
وزها وابى كنها وهكذا يضرب الله الحق والباطل ثم
ذكر المثل الثاني فقال ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او
متاع زبد مثله وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة
والنحاس والحديد فيخرجه النار ويميزه ويفصله عنا الجوهر
الذي ينتفع به فيبقى ويطرح ويذهب جفاء فكذلك الشهوات
والشبهات يثيرها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح
السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث ويستقر في قرار الوادي
الماء الصافي الذي يستقي منه الناس وينزرعون ويسقون انعا

مع كذلك يستغرق قراءة القلب وحدوث الايمان الخالص الصافي
الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره ومن لم تنفعه هذه المثلين
ويتدبرها ويعرف ما يراد منها فليس من اهلها والله الموفق

فصل ومنها قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت الى قوله كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون شبه سبحانه الحياة الدنيا وزينتها وتقلب اهلها فيها
بنبات اختلط وتشابك بعضه ببعض فيعجبه فيميل اليها وهي اغتر ما
تكون منه فبينما هو كذلك اذ طرقه بعض آفاته فاصبح هشيما
كان لم يكن قبل فيحسب ظانه ويصح بيده على ما كان اليها وصيله بينه وبينها فشبهها بالارض التي ينزل
الغيث عليها فتهتز وتحسن نباتها وتروق من نظر اليها فبينما هو ناظر
فيها قادر عليها مالك لها فاتاها امر الله فبيدك
نباتها آفة فتصبح كان لم تكن قبل فيحسب ظانه ويصح

ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالايمان والعمل الصالح والاخبات الى ربهم
فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن فجعل احد الفريقين كالاعمى
والاصم من حيث كان قلبه اعمى عن رؤية الاشياء وسمعه اصم
عن سماع الاصوات والفريق الاخر بصير القلب سميعه كبصير
العين وسميع الاذن فتضمنت الاية قياسين وتمثيلين للفريقين
ثم نفى التسوية عنهما بقوله هل يستويان مثلا فصل
ومعنى قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دونه اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فذكر سبحانه انهم
ضعفاء وان الذين اتخذوهم اولياء اضعف منهم فهم في ضعفهم ومما
قصدوه من اتخاذ الاولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا وهو اوهن
البيوت واضعفها وبحسب هذا المثل ان هؤلاء المشركين اضعف
ما كانوا حين اتخذوا من دون الله اولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوه
هم اولياء الا ضعفا كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى في
اتخذوا من دونه الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم
لهم جند محضرون وقال بعد ان ذكر هلاك الامم المشركة وانهم ظلموا
هم وكانوا ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون
الله الاية فهذه ان بعض مواضع في القرآن تدل على ان من اتخذ
من دون الله وليا ينتفع به وينتصر به ويستكثر به لم يحصل الا به
الا ضد مقصوده وفي القرآن اكثر من ذلك وهذا من احسن الامثال
ودلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه وحصول له على ضد

مقصوده

معصوده فان قيل فانهم يعلمون انا وهذا البيوت بيت العنكبوت
فكيف ينفي عنهم تعلم ذلك بقوله لو كانوا يعلمون فالجواب
انه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت وانما نفى عنهم
بانه اتخاذهم اولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتا فلو علموا
ذلك لما فعلوه ولكن طنوا انه اتخاذهم الاولياء من دونه

فصل

تفيدهم عزا وقوة فكان الامر بخلاف ما ظنوه
ومثلهم له تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن
ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا الاية ذكر الله سبحانه للكافر مثلين
مثلى مثل بالسراب ومثل بالظلمات المتراكمة ودلل لانه المعرض عنى
عن الهدى والحق نوعان احدهما منتظم انه على شئ فيتبين
له عند انكشاف الحقائق خلاف ما كان يظنه وهذا حال اهل
البدع واهل الجهل والاهواء الذين يظنون انهم على هدى وعلم
فاذا انكشفت الحقائق تبين لهم انهم لم يكونوا على شئ وان
عقائدهم واعمالهم التى ترتبت عليها كانت كسراب بقيعة وعلى الناس
ظمأ ولا حقيقة له وهكذا الاعمال التى لغير الله وعلى غير امره
يحسبها العامل نافعة وليست كذلك وهذه هى الاعمال التى قال
الله عز وجل فيها وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا فتأمل جعله سبحانه السراب بالقيعة وهى الارض
العفر الخالية من البناء والشجر والنبات والعلم محل السراب
ارض قفر لا شئ فيها والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لاعمال
وطلوعهم الى اقفر ما من الايمان والهدى وتأمل كيف قوله

يحسبه الظمآن ماء والظلمات الذي قد استشرت عليه في البحر
فظنه ماء فتبعه فلم يجد شيئا بل خانه احوج ما كان اليه فكذلك
هؤلاء لما كانت اعمالهم على غير طاعة الرسل ولغير الله جعلت كالسراب
وقد عمي عليهم اصمالا كانوا احوج ما كانوا اليها فلم يجدوا شيئا و
جد والله سبحانه فجازاهم باعمالهم ووافاهم حسابهم وفي الصحيح
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
التجلي يوم القيمة ثم يؤتى بجهنم تعرض كانها السراب فيقال لليهود
ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم لم يكن
لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال
اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون
قالوا نعبد المسيح ابن الله فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا
ولد فما تريدون قالوا نريد ان تسقينا فيقال لهم اشربوا
فيتساقطون فذكر الحديث وهذه حال كل صاحب باطل فانه
يحوجه باطله احوج ما كان اليه فان الباطل لا حقيقة له وهو كالسراب
والباطل اذا كان الاعتقاد غير مطابق والاحق كان متعلقه باطلا و
كذلك اذا كانت غاية العمل باطلة كالعمل لغير الله وعلى غير امره يبطل
العمل ببطلان غايته ويضر عامله ببطلانه وحصول ضد ما كان
يؤمله فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه بل صار
معدما لمقومات نفعه وحصول ضد النفع فلهذا وجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب فهذا مثل الضال الذي

يحسب

فصل النوع الثاني من اصحاب المثل
يحسبي عمله الذي على هدى
الظلمات المتراكمة وهم الذين عرفوا الحق والهدى واثروا على ظلمات
الباطل والضلال فتراكمت عليهم ظلمة الطبع وظلمة التوهم و
ظلمة الجهل حيث لم يعلموا بعلمهم فصاروا جاهلين وظلمة اتباع
الغي والهوى فصاروا كمن كان في بحر لجي لا ساحل له وقد
غشيه موج من فوق ذلك الموج موج ومن فوقه سحاب
مظلم فهو في ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب وهذا نظير
ما هم فيه من الظلمات التي لم يخرجهم الله منها الى نور الايمان وهذان
المثلان بالسراب الذي تطنه مادة الحياة وهو الماء والظلمات المضا
دة للنور ونظير المثلين الذين ضربهما الله للمنافقين والمؤمنين
وهما المثلان المائي والمثل الناري وجعل حظ المؤمنين منهما
الحياة والاشراق وحظ المنافقين منهما الظلمة المضادة للنور والحياة
المضادة للحياة فكذلك الكفار ضرب لهذين المثلين حظهم من الماء
السراب الذي يغر الناظر ولا حقيقة له وحظهم الظلمات المتراكمة
وهذا يجوز ان يكون المراد به حال كل طائفة من طوائف الكفار
وانهم عدموا مادة الحياة والاضاءة باعراضهم عن الوحي
فيكون المثلان صفتين لموصوف واحد ويجوز ان يكون المراد به
اصناف الكفار واصحاب المثل الاول هم الذين عملوا
على غير اصول علم والبصيرة بل على جهل وحسن ظن بالاسلاف فكانوا

يحسبون انهم يحسنون صنعا واصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا
الضلالة على الهدى واشتروا الباطل على الحق وعموا عنه بعد ان
ابصروه وجحدوه بعد ان عرفوه فهذا حال المغضوب عليهم
والاول حال الضالين وحال الطائفتين تخالف لحال المنعم عليهم
المذكورين في قوله الله نور السموات والارض الاية فتضمنت
الايات اوصاف الفرق الثلاثة المنعم عليهم وهم اهل النور
والضالون وهم اصحاب السرب والمغضوب عليهم وهم اهل
الظلمات المتراكمة والله اعلم فالمثل الاول من المثلين لاصحاب
العمل الباطل الذي لا ينفع فاولئك اصحاب الباطل وهؤلاء اصحاب
العلم الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة وكلاهما مضاد للهدى
ودين الحق وهذا مثل حال الغريق حال الثاني وذلك لطم
امواج الشكوك والشبهات والعلوم الفاسدة وقلوبهم بمثل الطم
امواج البحر فيه وانها امواج متراكمة مختلفة اصحابها مظلم و
هكذا امواج الشكوك والشبه وقلوبهم المظلمة التي قد تراكمت
عليها اسحب الغي والهوى والباطل فليتدبر اللبيب اصول
الفريقين وليقابل بينهم وبين المثلين يعرف عظمة القرآن
وجلالته وانه تنزيل من حكيم حميد واخبر سبحانه ان الموجب
لذلك انه لم يجعل لهم نورا بل تراكم على الظلمة التي خلقوا فيها فلم
يخرجهم منها الى النور فالله سبحانه ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات

الى النور

الى النور وهذا المسند من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره
فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول
جف القلم على علم الله فالله سبحانه خلق الخلق في ظلمة فمن اراد
هدايته جعل له نورا وجود يحيى به قلبه وروحه كما يحيى بدنه
بالروح التي ينفخها فيه فهما حياتان حياة البدن بالروح وحياة
الروح والقلب بالنور وهذا اسمى سبحانه الوحي روحا لتوقف الحياة
الحقيقة عليه كما قال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية فجعل وحيه روحا ونورا
فمن لم يحيه بهذا الروح فهو ميت ومن لم يجعل له نورا منه فهو في
الظلمات ما له من نور

فصل ومنها قوله تعالى ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
فشبه اكثر الناس بالانعام والجامع بينهم النقص في كل منهما
فقبول الهدى والانقياد له وجعل الاكثرين اضل سبيلا من الانعام
لان البهيمة يهديها سائقها فتهتدي وتتبع الطريق فلا تحيد
عنها يمينا ولا شمالا والاكثرون يدعوهم الرسل ويهدونهم السبيل
فلا يستجيبون ولا يهتدون والانعام تفرق بين ما يضرها من النبات والطريق فتجتنبه
وبين ما ينفعها فتؤثره والله تعالى لم يخلق للانعام عقولا تعقل بها

ولا السنة تتكلم بها واعطاء ذلك لهؤلاء ثم لم ينتفعوا بما جعل لهم من
العقل والعلوم والالسنة والاسماع والابصار فهم اضل من البهائم
فان من لا يهتدي الى الرشد والى الطريق مع الدليل اليه اضل واسوء
حالا ممن لا يهتدي حيث لا دليل معه **فصل** ومنها قوله
تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما
وهذا دليل قياسي احتج الله به على المشركين حيث جعلوا
له من عبيده وملكه شركاء فاقام عليهم حجة يعرف صحتها
من تعرفهم لا يحتاج فيها الى غيرهم ومنها ايلف الحجاج ان ياخذ
الانسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها
معلوم لها فقال هل لكم من ما ملكت ايمانكم من عبيدكم واماكم
شركاء في المال والاهل اي هل يشارككم عبيدكم في اموالكم و
اهليكم فانتم وهم في ذلك سواء تخافونهم اي تعاسمونهم اموالكم وبيتا
ركم ان يقاسموكم ويستأثروا ببعضها عليكم كما يخاف الشريك شريكه
وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثكم كما يرث بعضكم بعضا والمعنى
هل يرضى احد منكم ان يكون عبده شريكه في ماله واهله حتى
يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف ان ينفرد في ماله بما يتصرف
فيه كما يخاف غيره من الشركاء والاحرار فاذا لم ترضوا
ذلك لانفسكم فكيف عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي فان
هذا الحكم باطل في فطركم وعقولكم مع انه جائز علي كما ممكن
في حقكم اذ لبي عبيدكم ملكا لكم حقيقة وانا هم احرار لكم جعلهم

لكم اندادا

لكم

كتاب ايديكم وانتم وهم عبادي فكيف تسوّيني ومثل هذا الحكم
فاحفظ معاني من جعلتهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي فهذا
يكون بتفصيل الايات لاولي العقول **فصل** ومنها قوله
تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا
رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا الى قوله وهو على
كل شيء مستقيم هذا مثل ان يتضمنان قياسين منافيا س العكس
وهو نفي الحكم لنفي علته وهو صحيح فان القياس نوعان قياس
طرد يقتضي اثبات الحكم في الفرع لثبوت علة الاصل وقياس
عكس يقتضي نفي الحكم عن الفرع لنفي علة الحكم فيه فالمثل الاول
ما ضرب الله لنفسه وللاوثان فالله سبحانه هو الالك لكل شيء يتعق
كنه شيء على عبيده سرا وجهرا وليلا ونهارا يمينه ملاء لا تغيضها
نفقة سحاء الليل والنهار والاوثان مملوكة عاجزة لا تقدر
على شيء فكيف تجعلوها شركاء لي وتعبدونها دوني مع هذا
التفاوت العظيم والفرق البين هذا قول مجاهد وغيره وقال ابن
عباس هو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ومثل المؤمن في الخير
الذي عنده يتقرب منه ويتنفل منه على نفسه
وعلى غيره سرا وجهرا والكافر بمنزلة عبد مملوك عاجز لا يقدر
على شيء الله الخير عنده فهل يستوي الرجلان عند احد من العقلاء
والقول الاول اشبه بالمراد فانه اظهر في بطلان الشرك واوضح
عند المخاطب واعظم في اقامة الحجة واقرب منها لعقوله ويعيدون

من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون
الاية ثم قال وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر ومن لوازم
هذا المثل واحكامه ان يكون المؤمن الموحد كمن رزقه الله
منه رزقا حسنا والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر
على شيء فهذا مما نبه عليه المثل ودل عليه فذكره ابن عباس
مبينا على ان الله لما ان الاية اختصت به فتامله فانك تجد كثيرا
من كلام ابن عباس وغيره من السلف في فهم القرآن فيه هذا الشان
ان ذلك هو معنى الاية لا معنى لها غيره فيجعله قوله

فصل

واما المثل الثاني فهو مثل ضربه الله لنفسه وما يعبد من دونه
ومن دونه ايضا فالصنم الذي يعبد ومن دون الله بمنزلة رجل
ابكم لا يعقل ولا ينطق بل هو ابكم لعله قد عدم النطق
العقلي واللساني ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة
ومع هذا فانه كل على مولاه لا يأتيه بخير ولا يقضي له حاجة والله
سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وهذا
وصفه بغاية الكمال والحمد فانه امر بالعدل وهو الحق يتضمن
انه سبحانه عالم به محب له راض به آمر لعباده به محب لاهله
وانما يسعاه وشرعه عدل كله واهل العدل هم اولياؤه
واحباؤه وهم المجاورون له عن يمينه على منابر من نور و
امره بالعدل يتناول الامر الشرعي الديني والامر القدري
الكوني وكلاهما عدل لا جور فيه بوجه ما فالحديث صحيح

اللهم

اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىّ
حكمك عدل فىّ قضاؤك فقضاؤه هو امره الكونى فاما
امره الذى يحبه ان يقوله له كن فيكون فلا يامر الا بالحق والعدل
وقضاؤه وقدره النافذ به حق وعدل وان كان فى المقضى
المقدور به هو جور وظلم فالقضاء المقضى والعدل غير
المقدر سبحانه انه على صراط مستقيم وهذا نظير قول لقمان لابنه
هود انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وقوله ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها نظير قوله ناصيتى بيدك وقوله ان ربى على صراط
مستقيم نظير قوله عدل فىّ قضاؤك فالاول ملكه والثانى حمده
وهو سبحانه له الملك وله الحمد وكونه سبحانه على صراط مستقيم
يقتضى انه لا يفعل الا الاحق وان فعاله فلا يقضى على
العبد بما يكون ظلما له به ولا يأخذه بغير ذنب ولا ينقصه من
حسناته شيئا ولا يحمل عليه من سيئات غيره الى غير ذلك مما
تسمعين بها شيئا ولا يؤاخذ احدا بذنب غيره ولا يفعل قط ما
لا يحمد عليه ويثنى به عليه ويكون له فيه العواقب الحميدة
والغايات المطلوبة فان كونه على صراط مستقيم يأتى ذلك كله
قال محمد بن جرير الطبرى وقوله ان ربى على صراط مستقيم يقول
ان ربى على طريق الحق يجازى المحسن منا خلقه باحسانه
والمسئ باساءته لا يظلم احدا منهم شيئا ولا يقبل منهم الا الاسلام له

والايمان به ثم حكى عن مجاهد من طريق سئل عن ابن ابى نجيح عن ان ربى
على صراط مستقيم قال الحق وكذلك رواه ابن ابى حاتم عنه وقالت
فرقة هى مثل قوله ان ربك لبالمرصاد وهذا اختلاف عبارة قالت
فرقة هى كونه بالمرصاد هو مجازاته المحسن باحسانه والمسيئ باساءته وقالت
فرقة فى الكلام حذف تقديره ان ربى يحشكم على صراط مستقيم ويحضكم
عليه وهؤلاء ان اراد وا ان هذا معنى الاية الذى اريد بها فليس كما
زعموا ولا دليل على المحذوف وقد وصف سبحانه بانى كونه آمرا بالعدل
وبانى كونه على صراط مستقيم وان اراد وا ان حثه على الصراط المستقيم
من جملة كونه على صراط مستقيم فقد اصابوا وقالت فرقة
اخرى هى كونه على صراط مستقيم ان امر العباد والامور كلها الى الله
لا يفوته شئ منها وهؤلاء ان اراد وا ان هذا معنى الاية فليس كذلك
وان اراد وا ان هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه
وموجبه فهو حق وقالت فرقة اخرى معناه كل شئ تحت
قدرته وقهره وفى ملكه وقبضته وهذا وان كان حقا فليس هو
معنى الاية وقد فسر قوله ان ربى على صراط مستقيم فيما سمعناه
فالمعول قوله مجاهد وهو قول ائمة التفسير ولا يحمل العربية
غيره الا على اسكى قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

امير المؤمنين على صراط ... اذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء فجعله على صراط مستقيم
واذا كان سبحانه هو الذى جعل رسله واتباعهم على الصراط المستقيم

فى اقوالهم

على اعوجاجهم وافعالهم فهو سبحانه احق بان يكون على الصراط المستقيم
في قوله وفعله وان كان صراط الرسل هم واتباعهم هم موافقة
امره فصراطه الذي هو بكلمته عليه هو بما يقتضيه حمده وكماله
وبحبه من قول الحق وفعله وبالله التوفيق

فصل

وفي الآية قول ثالث مثل الآية الاولى سواء الله ضرب به المؤمنين و
الكافرين ومثل تعالى شبه من اعرض عن كلامه وتدبره فلم يعقله
ومنها قوله تعالى فرت من قسورة اي حمر مستنفرة وقرئ مستنفرة
النذر بمعنى صلى كأنهم حمر مستنفرة من قسورة شبههم
في اعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر الاسد والرماة نفرت
منه وهذا من بديع التشبيه فان العوام من جهلهم
بما بعث الله به رسوله كالحمر فهي لا تعقل شيئا فاذا سمعت صوت
الاسد او الرامي نفرت منه اشد النفور وهذا غاية الذم لهؤلاء
فانهم نفروا من الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر
عما يهلكها ويعقرها وبحث المستنفرة معنى ابلغ من النافرة
فانها للشدة نفورها قد استنفر بعضها بعضا وصيغه على النفور
فان في الاستفعال من الطلب وقد زيد على الفعل المجرد فكأنها
نفرت بالنفور وتواطئت عليه ومنفرها بفتح الفاء
المعنى اما العشور استنفرها وحملها على النفور بياسه وشدة

فصل

ومنها قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله الآية فقاس من حمله سبحانه كتابه ليعمل بما فيه ويتدبره

ويعمل به ويدعو اليه ثم خالف ذلك ولم يحمله الا على ظهر مثلي مؤاده
بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له وتحكيم له وعمل بموجبه كحمار
على ظهره اسفارا لا يدري ما فيها وحظه منها حملها على
ظهره وليس الا لحظه منها كذلك هذا الحمار من ركب
الى على ظهره فهذا المثل وان كان قد ضرب لليهود فهو متناول
مناحيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ولم يؤد حقه ولم
يرعه حق رعايته **فصل** ومنها قوله تعالى فانسلخ
عنها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الا انه تشبث بحبائه من
اتاه كتابه وعلمه العلم الذي منعه عزة فترك العمل به واتبع
هواه وآثر سخط الله على رضاه ودنياه على آخرته والمخلوق
على الخالق بالكلب الذي هو من اخبث الحيوانات واوضعها
قدرا واخبثها نفسا وهمة لا تعتد بطنة واشدها شرها
ولا يزال يلهث دون سائر اجزائه ولذلك ضربت له
حجر رجع اليه لبعضه من قرظ همته ومناهضة الحيوانات
واجلها للهوان واوراضها بالدناءة والجيف العذرة المروحة
احب اليه من اللحم الطري والعذرة احب اليه من الحلوى واذا
ظفر بميتة تكرشها كلها لم يدع كلبا بينا ولا منها شيئا الا عن غلبة
ومهما حرصه وبخله وشرهه ومن عجيب امره وحرصه
انه اذا رأى ذا هيئة رثة وثيابا دنية وحال زريه

بنحه وجعل عليه كانه يتصور مشاركته له ومنازعته وقوته
واذا راى ذا هيئة حسنة وثيابا جميلة ورياسة وضعفه
خطمه وازالة رئاسته وضعفه ولم يرفع اليه راسه وفي مشيه
متاخرا الدنيا وعاجلها على الله والدار الاخرة مع وقوع
علمه بالكلب فقال لضعفه سترى ويحه وهو ايضا حذا الذي
حاله اذا ذكره الله متاخرا خوف متابعته واتباعه هواه
انما كانت لشدة لهفه على الدنيا لانقطاع قلبه عن الله
والدار الاخرة فهي شديدة اللهف عليها ولهفه نظير لهف الكلب
الدابر فحال حذا جائع وتركه واللهث والله شقيقان
واخوان في اللفظ والمعنى قال ابن جريج الكلب منقطع العقاد
لا فؤاد له انما يحمل عليه بلهثه واذا تركه بلهث مثل الذي يترك
الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع قلت مراده بانقطاع
فؤاده انه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث وهكذا هذا
الذي انسلخ من اياتك الله لم يبق له فؤاد يحمله على الصبر وترك
لهث عن الدنيا وترك اللهث عليها فهذا يلهث على الدنيا
من قلة صبره عليها وهذا يلهث من قلة صبره عن الماء فالكلب
من اقل الحيوان صبرا عن الماء واذا اعطش اكل التراب من
العطش واذا كان فيه صبر عن الجوع وعلى كل حال فهو من اشد
الحيوان لهثا يلهث قائما وقاعدا وماشيا وواقفا وذلك لشدة
حرصه فحرارة الحرص وكثيره توجب له اللهث فهذا مشبهه لشدة
الشهوة في قلبه حتى جب له دوام اللهث فان حمله عليه بالموعظة

والنصيحة فهو يلهث وان تركته ولم يعظه فهو يلهث قال مجاهد
وذلك مثل الذي اوتي الكتاب ولا يعمل به وقال ابن عباس
ان يحمل عليه الحكمة لا يحملها وان تركه لم يهتد الى الحق كالكلب
ان كان رابضا لهث وان طرد لهث ومثل الخسيس هو المنافق
لا يثبت على الحق ادعي او لم يدع وعظ او لم يوعظ كالكلب
يلهث طرد او ترك وقال عطاء يتبع ان حملت عليه او لم تحمل
وقال محمد بن قتيبة كل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء
او عطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة
وحال الصحة وحال المرض والعطش مضرب الله مثلا لمن
كذب بآياته وقال ابن عطية فهو مثال وان تركه فهو مثاله
كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث ونظيره
تعالى انك لا تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون ومثل ما في هذه المثلة من الحكم والعبر
فمنها قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بآياتنا فاخبر سبحانه انه هو الذي
رفعه بآياته فاتبعه واسلخها هو الذي انعم بها عليه فاضافها
اليها الى نفسه ثم قال فانسلخ منها اي خرج منها كما تنسلخ
الحية من جلدها وفارقها وزايل الجلد بعد عنا اللحم ولم
يعمل فسلخناه منها لانه هو الذي استحب الى الشيطان خلع منها
باتباع هواه وقوله سبحانه فاتبعه الشيطان
لحقه وادركه كما قال تعالى فاتبعهم فرعون فاتبعوهم

مشرقي

مشرقين فكان صحفوظا صحر وسايايات الله يحمي الجاني بهامة الشيطان
لا ينال منه شيء الا على غرة وضعفة فلما اسلم منادايات الله
طغى به الشيطان ظفر الاسد بفريسته وكان منا العاويين
العاملين بخلاف علمهم الذين يعرفون الحق ويعملون بخلافه
كعلماء السوء ومنها انه سبحانه قال ولو شئنا لرفعناه
بها فاخبر سبحانه ان الرفعة عنده ليس بمجرد العلم فان هذا
كان من العلم وانما هي باتباع الحق وايثاره وقصد مرضات الله
فان هذا كان من علم اهل الكتاب ولم يرفعه الله بعلمه
ولم ينفعه به فنعوذ بالله من علم لا ينفع واخبر سبحانه انه هو
الذي يرفع عبده اذا زكاه بما اقامه من العلم والعمل يرفعه
الله فهو موضع لان يرفع به احدان ساعان الرافع ان فضا
به حفظه فلم يرفعه والمعنى ولو شئنا فضلنا هو شرفناه
ورفعنا قدره ومنزلته بالايات التي اتيناه قال ابن عباس
ولو شئنا لرفعناه ~~بعصمته~~ بعلمه بها وقالت طائفة
الظمير في قوله لرفعناه عايد على الكفر والمعنى لو شئنا لقضنا
عنه الكفر بما معه من الايات قال مجاهد وعطا لرفعنا عنه
الكفر بالايمان وعصمناه وهذا المعنى حق والاول هو مراد
الاية وهذا من لوازم المراد وقد تقدم ان السلف كثيرا ما
يتحفون على الامر بحق الاية فيغلط الناظر ان ذلك هو
المراد منها وقوله ولكنه اخلد الى الارض قال سعيد

ابن جبير ركن الى الارض وقال مجاهد سكن وقال مقاتل رضي بالدنيا
وقال ابو عبيدة لزمها واسباط والخلد من الرجال هو الذي يبطئ مشيته
ومن الدواب الذي يبقى ثناياه الى ان تخرج رباعيته وقال الزجاج خلد
واخلد واصله من الخلود وهو الدوام والبقاء يقال اخلد فلان
بالمكان اذا اقام به قال مالك بن نويرة ☆ بأبناء حي من قبائل مالك ☆
وعمرو بن مرثد بعوا اقاموا فاخلدوا ☆ قلت ومنه قوله تعالى
يطوف عليهم وِلدان مخلدون اي قد جعلوا للبقاء لذلك لا يتغيرون ولا يكبرون
وهم على ذلك ابدا وقيل هم المقرطون اذانهم والمسوّرون في ايديهم
واحتج بهذا القول من فسر اللفظة ببعض الوان هذا وذلك امارة التخليد
على ذلك السن فلانا فيبقى العرلني وقوله واتبع هواه قال
الكلبي اتبع ساقل الامور وترك معاليها وقال ابو روق اختار الدنيا
على الآخرة وقال عطاء اراد الدنيا واطاع شيطانه وقال ابن زيد كان
هواه مع القوم يعني الذين كانوا مع موسى وقومه وقال ايمانا اتبع امرأته
ايّاها الى جملته على ما فعلها فان قيل الاستدراك يكون
بقتضي ان يثبت بعدها نقيض ما اثبت كما تقول لو
شئت لاعطيته لكني لم اعطه ولو شئت لما فعلت لكن الكني
فعلته فالاستدراك يقتضي ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم
نشأ او علم يرفع ولكنه اخلد فكيف استدرك بقوله ولكنه
اخلد الى الارض بعد قوله لشئنا لرفعناه بها قيل ويوضح
هذا من الكلام المحذوف فيه جانب المعنى المعدول فيه عن مذا عاد

الى الغائب

الا لغائل الى المعنى وذلك ان مضمون قوله ولو شئنا لرفعناه بها انه
لم يتعلق الاسباب التي تقتضي رفعه بالايات منا ان شئنا الله ورضاه
على هذه ولكنه انثر الدنيا وخلو الى الارض واتبع هواه ومثال الزمخشري
المعنى ولو لزم ايانا لرفعناه بها فذكر المشيئة والمراد ما هو تابعة
له ومشيئته عنه قال الاشاعرة الى قوله ولكنه اخلد فاستوجب
المشيئة بخلاده الذي هو مفضله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى
لما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعنا
ولكنا لم نشأ وهذه منه اي الزمخشري شنشنة نعرفها
من قدري نافي للمشيئة العامة [illegible] معتد للنجعه في جعل كلام الله
معتزليا قدريا فان قوله ولو شئنا منافي قوله ولو لزمها لانه اذا كان
اللزوم لكان موقوفا على مشيئة الله وهو الحق بطل اصله
وقوله فان مشيئة الله تابعة للزومه الايات منافي فسد الكلام وبطله
بل لزومه الاية تابع لمشيئة الله فمشيئة الله سبحانه متبوعه
اذ تابعة وسببا لاسبب ومعجب يقتضي لا يقتضي فما شاء الله
وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده

فصل

ومنها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وهذا من احسن القياس التمثيلي فان سببه
تمزيقا عرض الاخ بتمزيق لحمه ولما كان المغتاب يمزق عرضا اخيه
في غيبته كان بمنزلة [illegible] من يقطع لحمه في حال غيبته وحمه

عنه بالموت ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن ذمه
كان بمنزلة الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه ولما كان
مقتضى الأخوة الرحم والوصل والتناصر فعلق عليها المغتاب
عند مقتضاها من الذم والعيب والطعن كان ذلك بمنزلة تقطيعه
لحم أخيه والأخوة مقتضى حفظه وصيانته والذب عنه ولما كان
المغتاب متفكها بعرض أخيه مستمتعا بغيبته وذمه متخليا بذلك
شبه بأكل لحم أخيه بعد تقطيعه ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به
شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك وقد زاد على مجرد
أكله كما أن أكله قد زاد على بعضه فتأمل هذا التشبيه
والتمثيل وحسن موقعه ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل
إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا ووصفهم بذلك ذاكرا له والإنكار
عليهم في أولها بحب أحدهم ذلك فكما أن هذا المكروه في طباعهم
فكذلك يجب أن يكون ما هو مثله ونظيره فاجتنبوه كما كرهتموه على ما
أحبوه وشبه لهم ما يجب أن يجتنبوه بما هو أكره شيء إليهم وهم أشد شيء نفرة عنه
فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة أن يكونوا أشد شيء نفرة
عما هو نظيره وشبيهه وبالله التوفيق

فصل

ومما قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف الآية فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم
الانتفاع بها برماد تعلق عليه ريح شديدة في يوم عاصف فشبه
سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على
غير أساس من الإيمان والإحسان ولكونها لغير الله عز وجل وعلى

عز اسمه ريح عاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت
شدة حاجته اليه فكذلك قال لا يقدرون مما كسبوا على شيء لا يقدرون
يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء فلا يرجون له اثرا من ثواب ولا زلفة
نافعة فان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه موافقا لشرعه
والاعمال اربعة فواحد مقبول وثلاثة مردودة فالمقبول الذي كان
للسوان فان الله لا يقبل الا ما كان خالصا لوجهه والصواب ان يكون مما شرعه على لسان
رسوله والثلاثة المردودة ما خالف ذلك ومثلهم بالرماد شديد الريح
في ذلك للمشابهة الذي بين اعمالهم وبين الرماد في احراق النار واذهابها
لاصل هذا وهذا فكانت الاعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة النار
وبها شبه النار على اصحابها وشيء الله سبحانه وتعالى لهم من اعمالهم الباطلة
طلة نار وعذابا بشيء لاهل الاعمال الموافقة امره الى هو خالصة
لوجهه من اعمالهم نعيما ورياضا فاشر النار في اعمال اولئك حتى جعلتها
كرماد ذهبت به الريح وما يعبدون من دون الله وقود النار

فصل

ومنها قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها
كل حين باذن ربها الاية فشبه سبحانه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة
ان الكلمة الطيبة ثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة ثمر الكرم النافع
وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين الذين يقولون الكلمة الطيبة هي
شهادة ان لا اله الا الله فانها تثمر جميع الاعمال الصالحة الظاهرة
والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة وفي تفسير علي
بن طلحة عن ابن عباس قال الكلمة طيبة شهادة ان لا اله الا الله
كشجرة طيبة وهو المؤمن اصلها ثابت قول لا اله الا الله وقلب المؤمن

وفرعها في السماء يعني ارتفع بها عمل المؤمن الى السماء وقال الربيع بن انس
كلمة طيبة وهذا من الايمان فالايمان الشجرة الطيبة واصلها الثابت
الذي لا يزال الاخلاص فيه وفرعه في السماء خشية الله والتشبيه
على هذا القول اصح وهو اظهر واحسن فانه سبحانه شبه شجرة
التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الاصل الباسقة الفرع
في السماء علوا التي لا تزال تؤتي ثمرها كل حين واذا تاملت
هذا التشبيه رايته مطابقا لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب
التي فرعها من الاعمال الصالحة صاعدة الى السماء ولا تزال هذه
الشجرة تثمر الاعمال الصالحة كل وقت بحسب ثمارها في القلب وصحة
القلب لها واخلاصه فيها وموافقتها لحقيقتها وقيامه بحقها ومراعاة
حقوقها فمن راعاها فمن رسوخ وقلبه هذه الكلمة بحقيقتها التي هي حقيقتها
واصل قلبه بها واصبغ بها بصبغة الله التي لا احسن صبغة منها
فمن حقيقة الالهة التي يثبتها قلبه لله ويشهد بها لسانه ويصدق
جوارحه وتنفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله ووافق قلبه
لسانه في هذا النفي والاثبات وانقادت جوارحه لمن شهد لها بالوحدانية
طائعة سالك سبل ربه ذللا غير ناكبة عنها ولا باغية سواها بدلا كما لا
يبغي القلب سوى معبوده الحق بدلا فلا ريب ان هذه الكلمة
من هذا القلب على هذا اللسان كذلك شجرة تؤتي ثمرها من العمل الصالح
الصاعد الى الله كل وقت فهذه الكلمة الطيبة هي التي رفعت هذا العمل
الصالح الى الله تعالى فهذه الكلمة الطيبة ثمرة كل عمل صالح قام بها
عمل صالح فيرفع العمل الصالح الكلم الطيب كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه فاخبر سبحانه ان العمل الصالح يرفع الكلم الطيب

واخبر ان

واخرج ان الكلمة الطيبة تتمثل لقائلها عملا صالحا كل وقت والمقصود
ان كلمة التوحيد اذا شهدها المؤمن عارفا بمعناها وحقيقتها فيأتي
اتيانا متصفا بموجبها قائما بقلبه ولسانه وجوارحه بشهادته فهذه
الكلمة منتجة الشاهد اصلها ثابت راسخ في قلبه وفرعها متصلة
بالسماء وهي مخرجة ثمرها كل وقت وهذا السلف من قال ان
الشجرة الطيبة هي النخلة ودل عليه حديث ابن عمر الصحيح ومنهم من
قال هي المؤمن نفسه كما قال محمد بن سعد حدثني ابي حدثني عمي حدثني
ابي عن ابيه عن ابن عباس قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة يعني بالشجرة الطيبة المؤمن ومعنى بالاصل في الارض
الفرع في السماء يكثر المؤمن من يعمل في الارض ويتكلم فيبلغ قوله وعمله
السماء وهو في الارض وقال عطية العوفي ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة قال ذلك مثل المؤمن لان الخير الخارج من كلام طيب
وعمل صالح يصعد الى الله وقال الربيع بن انس اصلها ثابت
وفرعها في السماء قال ذلك المؤمن ضرب مثله في الاخلاص لله وحده لا
شريك له اصلها ثابت قال اصل عمله ثابت في الارض وفرعها في السماء
قال ذكر في السماء والاختلاف بين العوفي يعني المتقدم وقول ابن انس
قال ذكر في السماء والنخلة شبه به وهو شبه بها واذا كانت
النخلة شجرة طيبة فالمؤمن اولى ان يكون كذلك ومن قال
من السلف انها شجرة في الجنة فالنخلة اشرف اشجار الجنة وفي هذا
المثل من الاسرار والعلوم والمعارف ما يليق به ويقتضيه علم الذي
تكلم به وحكمته فمن ذلك ان الشجرة لا بد لها من عروق وساق وفروع
وورق وثمر فكذلك شجرة الايمان والاسلام لا بد ان يطابق المشبه المشبه به

فروعها العلم والمعرفة والمعنى بوساقها الاخلاص وفروعها الاعمال
وثمرتها ما يجنى من الاعمال الصالحة من الاثار الحميدة والصفات الممدوحة
والاخلاق الزكية والسمت الصالح والهدى والدل المرضى فيستدل
على غرس هذه الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الامور فاذا كان
العلم صحيحا مطابقا للمعلوم الذى انزل الله كتابه به والاعتقاد مطابقا
لما اخبر به عن نفسه واخبر به عنه رسله والاخلاص تابعا
للعلم والاعمال موافقة للامر والهدى والدل مشابها لهذه الاصول
فالقلب والاعمال من شجرة الايمان فان القلب اصلها ثابت وفرعها في
مناسبتها علم ان شجرة الايمان في القلب والعكس بالعكس علم ان القائم بالقلب انما هو الشجرة
الملائكة واذا كان الامر بالعكس علم ان القائم بالقلب انما هو الشجرة
الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض مالها من قرار ومثل هذه
ان الشجرة لا تبقى حية الا بمادة تسقيها وتنميها فاذا قطع عنها السقي
او شك ان تيبس فهكذا شجرة الايمان في القلب انما يتعاهدها صاحبها
بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بتذكر على التفكر
والتفكر على التذكر والا اوشك ان تيبس وفي مسند الامام احمد من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الايمان
ليخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا ايمانكم وبالجملة فالنفوس
انما تتعاهد صاحبها اوشك ان تهلك ومن هنا يعلم شدة حاجة
جنة العباد الى ما امر الله به من العبادات على تعاقب الاوقات و
عظيم رحمته وتمام نعمته واحسانه الى عباده بان وضعها عليهم
وجعلها مادة لسقي غرس التقوى حيث الذى غرسه في قلوبهم
ومنها ان الغرس والزرع النافع قد اجرى الله سبحانه

العلم دة

العادة انه لا يبدأ بحاجة لطيفة دغل ونبت غريب ليس من جنسه فان تعاهده
ربه وتفقاه وقلعه كل الغرس والزرع واسقاه وعم نباته وكان اوفر
لثمرته واطيب وان كل وان شركه او شك ان يغلب على الغراس
والزرع ويكون الحكم له او يضعف الاصل ويحيل الثمرة ذميمة ناقصة
بحسب كثرته وقلته ومنا لم يكن له فقه ونفس هذا وعرفه بمادة
ربح كثير وهو الاشوك العلم من دنيا سعيه في شان سوء هذه الشجرة
وتنقيته ما حولها فيسقيها تبقى ويدوم وبتنقيته ما حولها
تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان فهذا بعض ما تضمنه
هذا المثل العظيم الجليل من الاسرار والحكم ولعلها قطرة من بحر
نحس اذهاننا الواضحة وعقولنا المحيطة وعلومنا القاصرة
وارجعنا الى توجيب التوبة والاستغفار والاقلاع عما منا القلوب
وصفت الاذهان ونزكت النفوس وخلصت الاعمال وتجردة العلم
للبحث عن المعقول له لنا هدنا من معاني كلام الله واسراره وحكمه
ما تضمحل عنده العلوم وتتلاشى عنده معارف الخلق وهذا يعرف
قدر علوم الصحابة ومعارفهم وان التفاوت الذي بين علومهم و
علوم من بعدهم كالتفاوت الذي بينهم في الفضل والله اعلم

فصل

حيث يحل مواقع فضله ومتاجر رحمته
ثم ذكر سبحانه مثل الكلمة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض فلا
عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمر تزكية فلا ظل ولا جناء ولا
ساق ينابيع ولا عرق في الارض ثابت فلا اسفلها مغدق ولا اعلاها
هامق ولا جناها دان ولا متعلق بل تعلى واذا مله الخبيث
اكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك فالخسران كل الخسران

الوقوف عنه والاشتغال به عن افضل الكلام وانفعه قال الضحاك
ضرب الله مثل الكافر بشجرة اجتثت من فوق الارض ما لها من
قرار يعني ليس لها اصل ولا فرع وليس لها ثمرة ولا فيها منفعة كذلك
الكافر ليس يعمل خيرا ولا يقوله ولا يجعل الله فيه بركة ولا منفعة
وقال ابن عباس ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة
يعني الكافر اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يعني الشرك
ليس له اصل يأخذ به الكافر ولا يرتفع ولا يقبل الله مع الشرك
عملا فلا يقبل عمل المشرك ولا يصعد الى الله فليس له اصل ثابت
في الارض ولا فرع في السماء يتقوى به ليس له عمل صالح في السماء ولا في الارض
وقال ابن زيد شبه الكلمة الخبيثة مثل الكافر ليس
لقوله ولا لعمله اصل ولا فرع يستقر قوله ولا عمله على الارض
ولا يصعد الى السماء وقال سعيد عن قتادة في هذه الآية ان رجلا
لقي رجلا من اهل العلم فقال له ما تقول في هذه الكلمة الخبيثة قال
ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق
صاحبها حتى يوافي بها يوم القيمة وقوله اجتثت من فوق
الارض اي اخذ من فوق الارض ثم اخبر سبحانه عما فضله
وعدله في الفرق بين اصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث فاخبر انه
يثبت الذين امنوا بالقول الثابت احق بما يكون توفيقا اليه والدنيا
والاخرة وانه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت
فمثل هؤلاء سدد لظلمهم وثبت المؤمنين بفضله لايمانهم
وحكمته وقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في

خبر مقدم

الحياة الدنيا

مطلب

الحياة الدنيا وفي الآخرة كنز عظيم من وفق لمطلبه واحسن
سعيه راجيه وافقناه وان فقد ضده فقد غنم ومن حرمه فقد حرمه وذلك
ان العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين فان لم يثبته والا
زلت به قدماه وارداه عن مطلوبه ومقصوده قال تعالى لاكرم خلقه عليه
وسوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال تعالى
اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وفي الصحيحين
من حديث النجلي قال وهو يثبتهم ويثبتهم وقال تعالى لرسوله وكلا
نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك فالحق كله قسمان
موفق بالتثبيت ومحذول لتركه التثبت ومادة التثبيت واصله
ومنشاه من العقل الثابت وفضل ما امر به العبد فيما يثبت امر عبده
فكل من كان اثبت عقلا كان اعظم تثبتا قال تعالى
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا فاثبت الناس
قلبا اثبتهم عقولا والعقل الثابت هو العقل الحي والصدق وهو ضد
العقل الباطل الكذب فالعقل نوعان ثابت له حقيقة وباطل لا حقيقة
له واثبت العقول كلمة التوحيد ولوازمها فهي اعظم ما يثبت به عبده
في الدنيا والآخرة وهذا شأن الصادق اما اثبت الناس واشجعهم
قلبا والكاذب منا اهلك الناس فاجبن واكثرهم تلونا واقلهم ثباتا
واهل الغزاة يعرفون صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الاختبار
وتتجافى عنه ومهابته ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك ولا يخفى ذلك
الا على ضعيف البصيرة وسئل بعضهم عن كلام سمعه من تكلم به
فقال والله ما فهمت منكلامه شيئا الا اني رأيت لكلامه صولة ليس
بصولة مبطل فان مخ العبد مخ افضل من مخ العقل الثابت

مطلب في سؤال القبر

وبذلك اهل القول الثابت بمرة اصح ما يكون اليه في قبره وبعد موته
معاده كما في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه هذه الآية نزلت في عذاب القبر وقد جاء هذا مبينا
في احاديث صحاح فمنها ما في المسند من حديث داود بن
ابي هند عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في جنازة فقال يا ايها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا
الانسان دفن وتفرق عنه اصحابه جاءه ملك بيده مطرقة فاقعده
فقال ما تقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول له
صدقت فيفتح له بابا الى النار فيقال له هذا منزلك لو كفرت
بربك واما اذ امنت بربك فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له بابا
الى الجنة فيرى زينتها فيقال له اسكن ثم يفسح له في قبره
واما الكافر والمنافق فيقال له ما تقول في هذا الرجل فيقول
لا ادري فيقال له لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا
الى الجنة فيقال له هذا منزلك لو امنت بربك فاما اذ كفرت فان الله
ابدلك به هذا ثم يفتح له بابا الى النار ثم يتعمعه الملك بالمطرقة
معقعة سمعها خلق الله كلهم الا الثقلين قال بعض اصحابه يا رسول الله
ما منا احد يقوم على رأسه ملك بيده مطرقة الا هيل عند
ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين وفي

المسند نحوه

المستلحق وهو حديث البراء بن عازب ورواه المنهال بن عمرو عن
زاذان عن البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض
روح المؤمن وقال فيأتيه آت يعني فيقول له ما ربك وما دينك وما
نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينهره
فيقول له ما ربك وما دينك وما نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك
حين يقول ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة
فيقول ربي الله ودينى الاسلام ونبي محمد فيقال له صدقت وهذا
حديث صحيح وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو وعن ابي سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال اذا قيل له
في القبر من ربك وما دينك وما نبيك فيقول ربي الله ودينى الاسلام
ونبي محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به
وصدقت به فيقال له صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه
تبعث وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء
بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قبض روح المؤ
من قال فترجع روحه في جسده ويأتيه ملك فيقعده قعودا
لا انتهاك فيجلسانه ويشهد انه فيقول له ما ربك فيقول ربي الله
فيقول له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقول له ما هذا الرجل
الذي بعث فيكم فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقال له
وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك

قول الله تبارك وتعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة رواه ابن حبان في صحيحه والامام احمد وفي صحيحه ايضا
من حديث ابي هريرة رفعه قال ان الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون
عنه مدبرين فاذا كان مؤمنا كانت الصلاة عند راسه والزكاة
عن يمينه وكان الصيام عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة
والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى من
راسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يمينه فتقول
الزكاة ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام ما قبلي مدخل
فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة
والمعروف والاحسان الى الناس ما من قبلي مدخل فيقال له اجلس
فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال ارأيت عما
كنت تسأل عنه فيقول دعوني حتى اصلي فيقال له انك ستفعل فاخبرنا
عما نسالك فيقول وعما تسألوني فيقال له ارأيت هذا الرجل الذي
كان فيكم ما ذا تقول فيه وما تشهد به عليه فيقول ايّ محمد اصلى الله
عليكم فيقال نعم فيقول اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه
جاء نا بالبينات من عند الله فصدقناه فيقال له على ذلك (ذكر)
حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفسح له ما
مد بصره ويفتح له فيه ثم يفتح له بابا الى الجنة فيقال له
انظر الى ما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يجعل
نسمه في النسيم الطيب وهو طير خضر معلق بشجر الجنة

ويعاد الجسد

وسجاد الجسد الى بلاد من الترب وذلك قوله الله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله
الظالمين ولا يستطل هذا الفصل المعترض فالمعنى والشاهد
والحاكم بل وكل مسلم اشد ضرورة اليه من الطعام والشراب و
النفس وبالله التوفيق

فصل

ومنها
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور
حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق هذا المثل ومطابقته لحال من
اشرك بالله وتعلق بغيره وجعل ذلك وهذا التشبيه امر انتزاعي
ان يجعله تشبيها مركبا ويكون قد شبه من اشرك بالله وعبد
معه غيره برجل قد تشبب الى هلاك نفسه هلاكا لا يرجى معه
نجاة فصور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفه الطير
في الهوى فتفرق مزقا فحوصلها او عصفت به الريح حتى هوت
به في بعض المطارح البعيدة وعلى هذا لا ينظر الى كل فرد من افراد
المشبه ومقابلته من المشبه به والثاني ان يكون من التشبيه
المفرق فيقابل كل واحد من اجزاء الممثل بالممثل به وعلى هذا
فكل قد شبه الايمان والتوحيد في علوه وسموه وشرفه
بالسماء التي هو مصعده ومهبطه فمنها يهبط الى الارض واليها
يصعد منها وشبه تارك الايمان والتوحيد بالساقط من السماء
الى اسفل سافلين حتى التقطيع الشديد والآلام المتراكمة

والطير التي تخطف اعضاءه ويمزقه كل ممزق فانا شاطئ الى ربها
الله سبحانه عليه تقدر ان اراه وتعجب وتعلقه الى مكان هلاكه
فكل شيطان له منعه من دينه وقلبه كما ان لكل طير صنعة من لحمه
واعضائه والريح التي تهوي به في مكان سحيق هو هواه الذي
يحمله على القائه نفسه في اسفل مكان والبعد من السماء

فصل

ومنها قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين
تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا
الله حق قدره ان الله لقوي عزيز حقيق على كل عبد
ان يسمع قلبه هذا المثل ويتدبره حق تدبره فانه يقطع
مواد الشرك من قلبه وذلك ان المعبود اقل درجاته ان يقدر
على اتخاذ ما ينفع عابده واعدام ما يضره والالهة التي يعبدها
المشركون من دون الله لا تقدر على خلق ذباب ولو اجتمعوا
كلهم لخلقه فكيف ما هو اكبر منه ولا يقدرون على الانتصار
من الذباب اذ اسلبهم شيئا مما عليهم من طيب وخوه فيستنقذوه
منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من اضعف الحيوان
ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم اياه فلا اعجز
من هذه الالهة ولا اضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها
من دون الله وهذا المثل من ابلغ ما انزل الله سبحانه في
بطلان الشرك وتجهيل اهله وتقبيح عقولهم ونفوسهم
على ان الشيطان قد تلاعب بهم اعظم من تلاعب الصبيان بالكرة

حيث اعطوا

حيث اعطوا الالهية الى من بعض لوازمها القدرة على جميع
المقدورات والاحاطة بجميع المعلومات والغنى عن جميع
المخلوقات وان يصمد الى الالهة في جميع الحاجات وتفريج الكربات
واغاثة اللهفات واجابة الدعوات فاعطوها صورا وتماثيل
يمتنع عليها القدرة على اقل مخلوقات الالهة الحقة واذلها و
اصغرها واحقرها ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه وادل من
ذلك على عجزهم واستغنا الهتهم ان هذا الخلق الاذل الاقل
العاجز الضعيف لو اختطف منهم شيأ واستلبهم اجتمعوا على
ان يستنقذوه منه لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا عليه ثم سوى بين
العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله ضعف الطالب والمطلوب
مثل الطالب العابد والمطلوب المعبود هو عاجز مخلوق بعاجز
وضعيف هو سوية بين السائل والمسؤل. وهو سوية بين الالهة
والذباب في الضعف والعجز وعلى هذا فقيل الطالب الالهة الباطل
والمطلوب الذباب وقيل الطالب الذباب والمطلوب الالهة فالذباب يطلب منها ما يستنقذه منه وقيل الطالب الذباب
والمطلوب الالهة فالذباب يطلب منها ما يستنقذه منه وقيل الطالب
مما عليه والصحيح ان اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود
والمستلب فما جعل هذا الهامي العقول العزيز ما قدروه حق قدره
ولا عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه

فصل

ومما يحقق له تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فتضمن هذا المثل

ناعقا ای مصوتا بالغنم وغیرها ومنعوقا به وهو الدواب فعیل الناعق
العابد وهو الراعی للصنم والصنم هو المنعوق به المدعو وانحال
الکلام فی دعائه کحال من ینعق بما لا یسمعه هذا قول طایفة منهم
عبد الرحمن بن زید وغیره واستشکل صاحب الکشاف وجماعة
معه هذا القول وقالوا قوله الا دعاء وندا لا یتأتی عد علیه لان الاصنام
لا تسمع دعاءه ولا ندا وقد اجیب عن هذا الاستشکال
بثلاثة اجوبة احدها ان الآیة زائدة والمعنی بما لا یسمع
دعاء وندا قالوا وقد ذکر ذلک الاصمعی فی قول الشاعر
صاح هل تعقل او تناحة ای ما یتعقل مناحه وهذا
جواب فاسد فان الا لا یزاد فی الکلام الجواب الثانی
ان التشبیه وقع فی مطلق الدعا ان حصول صفات المدعو الجوابی
الثالث ان المعنی انما مثل هؤلاء فی دعائهم الهتهم الی لا
تفقه دعاءهم کمثل الناعق بغنمه ولا ینتفع منها بغنمه شیئا
غیر ان فی دعاء وندائه کذا المشرک لیس له من دعائه وعبادته
الا التعب وقیل المعنی ومثل الذین کفروا کالبهائم التی لا تفقه
ما یقوله الراعی اکثر من الصوت فالراعی هو داعی الکفار والکفار
هم البهائم المنعوق بها قال سیبویه المعنی ومثل
داعی الذین کفروا کمثل الناعق والمنعوق به وعلی قوله
فیکون المعنی ومثل الذین کفروا ودعائهم کمثل الغنم والناعق
بها ولک ان تجعل هذا من التشبیه المرکب وان تجعله من
التشبیه

التشبيه المزق فان جعلته من المركب كان تشبيها للكفار وعدم تفقههم
وانتفاعهم بالقرآن الى منعق بها الراعي فلا يسمع من قوله شيئا غير الصوت
المجرد الذي هو الدعاء والنداء وان جعلته من التشبيه المفرق
فالذين كفروا بمنزلة البهائم ودعاؤهم الى الطريق والهدى بمنزلة
الذي ينعق بها ودعاؤهم الى الهدى بمنزلة التعليق وادراكهم
مجرد الدعاء والنداء كادراك البهائم مجرد الصوت الناعق والله اعلم

فصل

ومنها قوله تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
الاية شبه تعالى نفقة المنفق وسبيله سواء كان المراد به الجهاد
او جميع سبل الخير فكل من بذر بذرا فانبتت كل حبة منه
سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة والله يضاعف
لمن يشاء بحسب حال المنفق وايمانه واخلاصه واحسانه
ونفع نفقته وقدرها وموقعها منها فان تفاوت الانفاق
تفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الايمان والاخلاص والتثبيت.
عند النفقة وهو اخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره
باخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه منه
فهو ثابت القلب عند اخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبعه
نفسه تشح بيده وتعاوده وتتفاوت بحسب نفع الانفاق
ومصارفه كما وقعه وبحسب طيب المنفق وزكاته في
ارضها زكية بحسب بذره وطيبة ارضه ومع هذا ويضاعف

المذنب بالسعي وفي الدغل والعناب الغريب عنه فماذا اجتمعت هذه
الامور ولم يحترق الزرع فارق فالحقه صاحبه جاء امثال
الجبال وكان مثله كمثل جنة بربوة وهي المكان المرتفع الذي
يكثر فيه طيب الشمس والرياح فتزيد فيه الاشجار هناك اعم تزيده
فضل على هذا المثل مطر عظيم القطر متتابع فسقاها وتماها
فاتت اكلها ضعفي ما توتيه غيرها بسبب ذلك الوابل فان لم
يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها تركوا على
الطل ويتمم عليه مع انه ذكر سبحانه في الوابل والطل اشارة الى
نوع الانفاق الكثير والقليل فمن الناس من ينفق انفاقه وابل
ومنهم من ينفق انفاقه طل والله لا يضيع مثقال ذرة فان
عرض هذا العامل بالفراغ عياله ويبطل حسناته كان
بمنزلة رجل له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
وله فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فاذا كان يوم استيفاء
الاعمال واحراز الاجور وجد هذا العامل عمله قد اصابه
بار صاب صاحب هذه الجنة فحسرته حينئذ اشد فما حسرة
هذا على جنته فهذا مثل ضربه الله سبحانه في الحسرة بسلب
النعمة عند شدة الحاجة اليها مع عظم قدرها ومنفعتها و
الذي ذهبت عنه قد اصابه الكبر والضعف فهو احوج ما كان الى
نعمه ومع هذا فله ذرية ضعفاء لا يقدرون على القيام

بعمله

بمعالجه بل هو محتاج عياله فحاجته الى نعمه حيث اشرف ما كانت لضعفه
وضعف ذريته فكيف يكون حال هذا اذا كان له بيتان عظيم فيه
من جميع العواكه والثمر وبستان ثمره اجل العواكه وانفعها
ثم النخل والاعناب فغلته تقوم بكفايته وكفاية ذريته ماضيه
بيما وحده محتاج فاكله كالصنع فاى حسرة اعظم من
حسرته قال ابن عباس هذا مثل الذى يخرج له الفساد
فاخر عمله وقال مجاهد هذا مثل المرائى وقال
حيث هو قال السدى هذا مثل المرائى وقال
الذى يتعقب لغير الله ينقطع عنه نفعها احوج ما يكون اليه وسال
عمر بن الخطاب اصحابه عن هذه الاية قالوا الله اعلم فغضب
عمر وقال قولوا نعلم او لا نعلم قال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا
امير المؤمنين قال عمر يا ابن اخى والله لا تحقرن نفسك قال ضرب
مثل لعمل قال اى عمل قال لرجل غنى يعمل بالحسنات ثم بعث
الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق اعماله كلها
الحسن هذا مثل ملك والله ما يجعله من الناس يشح كبر ضعيف
ضيعه وكثير ضيعة افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر
ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا

فصل

فمن عرض لهذه الاعمال من الصدقة ما يبطلها من المن
والاذى يبطل الثواب الذى كانت سببا له مثل صاحبها
وبطلان عمله كمثل صفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب

فاصابه وابل وهو المطر الشديد فتركه صلدا لا شئ عليه وتامل
آخر هذا المثل البليغ واسقطها على اجزاء الممثل به تعرف عظمة
القرآن وجلالته فان الحجر الذي معاملته قلب هذا المراءي والمالك
والموذي فقلبه فيه متصور عن الايمان والاخلاص والاحسان
بمنزلة الحجر والعمل الذي عمله لغير الله بمنزلة التراب الذي على
ذلك الحجر فتصيبه ديمة وصلابته تمنعه من انبات والنبات
عند نزول الوابل فيذهب به ويدعه صلدا كذلك العمل الذي يعتبر الناس
ويبتغي به الكمال وكذلك قلب المراءي ليس له ثبات عند وابل الله
الامر والنهي والقضاء والقدر ما ذا نزل عليه وابل الوحي انكشف
عنه ذلك التراب اليسير الذي كان عليه فتركه بالحقيقة حجرا
صلدا لا نبات فيه وهذا مثل ضربه الله سبحانه لعمل المراءي
وتحققه لا يقدر على شئ من ذلك العمل على شئ اصلا منه احوج ما
كان اليه وبالله التوفيق

فصل ومنها قوله
تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون
في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الاية هذا
مثل ضربه الله تعالى لمن انفق ماله في طاعة الله وفي رضاته
فشبه تعالى ما ينفقه هؤلاء من اموالهم في المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله وما

ينتفع به ليصل به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي
زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره فاصابته ريح شديدة
البرد جدا فيها نار فاحرقته فهلك ما نمى عليه من الزرع والثمار فما
هلكة ذلك الزرع ما يبسه واختلف في الصرة فعدل
البرد الشديد وقيل النار قال ابن عباس قال ابن الانباري
وانما وصفت النار بانها صر لصرير بها عند الالتهاب وقيل
الصر الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها والاول
اظهر لانه قال فيه نار فاحرقته فهو برد شديد محرق بيبسه للحب
كالحرقة النار وفيه صوت شديد وفي قوله اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم تنبيه على ان اصابتها لحرثهم فهو
ظلمهم فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة حتى اهلك زرعهم
ويبسه فظلمهم هو الذي اهلكها اعدمهم ونفعهم واتلفها

فصل وهذا قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الاية هذا مثل
ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد فالمشرك بمنزلة عبد
يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون والرجل
الصديق الخلص فالمشرك لما كان يعبد الهة شتى
شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون وخدمة لا يمكنه ان
يبلغ رضاهم اجمعين والموحد لما كان يعبد الله وحده

فمثله كمثل عبد لرجل واحد مسلم له وعلم بمقاصده و
عرف الطريق الى رضاه فهو فى راحة من تشاحن الخلطاء فيه
بل هو سالم لمالكه متاع غير متنازع فيه مع راحة مالكه به ورحمة
له وشفقته عليه واحسانه وتوليه لمصالحه فهل يستوى
هذان العبدان وهذا امثل الامثال فان الخالص لمالك
واحد يستحق منه معونته واحسانه والتفاته اليه وقيامه بمصالحه
ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين الحمد لله بل اكثر خلقه
لا يعلمون **فصل** ومنها قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين
كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا الى اخر السورة فاشتملت
هذه الآيات على ثلاثة امثال مثل للكفار ومثلين للمؤمنين
فتضمن مثل الكفار ان الكافر يعاقب على كفره وعداوته
لله ورسوله واوليائه وان لم ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين
المؤمنين من قرابة نسب او وصلة صهر او سبب من اسباب الا
تصال فان الاسباب كلها تنقطع يوم القيمة الا ما كان منها
متصلا بالله وحده لا شريك له على يدى رسوله فلو نفعت الوصلة
القرابة او المصاهرة او النكاح مع عدم الايمان لنفعت
الوصلة التى كانت بين نوح ولوط وامرأتيهما فلم يغنيا عنهما من
الله شيئا وقيل ادخل النار مع الداخلين وقطعت الاربة حيث
طمع من تركب معصية الله وخالف امره ورجا ان ينفعه صلاح

غيره منحرين او اجنبي ولو كان ينفعها في الدنيا استمر الاتصال ولا
انفصال فوق اتصال النبوة والابوة والزوجية ولم ينفع نوحا
عن ابيه ولا ابراهيم ولا نوحا ولوطا عن امرأتيهما مما الله شيئا
قال الله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة
يفصل بينكم وقال تعالى يوم لا يملك نفس لنفس شيئا وقال
واتقوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
ان وعد الله حق وهذا كله تكذيب لاطماع المشركين الباطلة ان
ما تعلق ابدا من دون الله من قرابة او صهر او نكاح او صحبة
ينفعهم يوم القيمة او يجيرهم من عذاب الله او يشفع لهم عند الله
وهذا رسل ضلال بني آدم وشركهم وهو الشرك الذي لا يقبل
الله وهو الذي بعث الله جميع رسله وانزل جميع كتبه بابطاله
ومحاربة اهله ومعاداتهم **فصل** واما المثلات
اللذان للعرض فاحدهما امرأة فرعون ووجه المثل ان اتصال
المرء من بالكافر لا يضره شيئا اذا فارقه في كفره وعمله
فمعصية الغير لا تضر المطيع شيئا في الآخرة وان تضرر بها في
الدنيا بسبب العقوبة التي تحل باهل الارض اذا اضاعوا امر الله
فيأتي عامة فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو منا لغير
الكافرين ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالها بهما وهما رسولا

ربه العالمين المثل الثاني للمؤمنين مريم التي لان وجد لها لا
مؤمن ولا كافر فذكر ثلاثة اصناف النساء المرأة الكافرة التي لها
وصلة بالرجل الصالح والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل
الكافر والمرأة الغريبة التي لا وصلة بينها وبين احد فالاولى
لا ينفعها وصلتها وسببها والثانية لا يضرها وصلتها وسببها
والثالثة لا يضرها عدم الوصلة ثم اعلم في هذه الامثال من الاسرار
سر اليد سوية بما يناسب سياقة السورة فانها سيقت في ذكر
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم والتحذير من تظاهرهن عليه
واذهن ان لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الاخرة لم ينفعهن
اتصالهن برسول الله صلى الله عليه وسلم كما لم ينفع امرأة نوح
ولوط اتصالها بهما وهذا انما ضرب في هذه السورة مثلا لاتصال
النكاح دون النوع به قال يحيى بن سلام ضرب الله المثل الاول لحفصة
عائشة وحفصة ثم ضرب لها المثل الثاني لحرضهما على التمسك
بالطاعة وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم ايضا اعتبار اخر وهو
انها لم يضرها عند الله شيئا مذ فاعداء الله اليهود لها وتسبهم اياها
وانها الى ما برأها الله عنه مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة
على نساء العالمين فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق
فيه وفي هذه تسلية لعائشة ام المؤمنين ان كانت السورة
نزلت بعد قصة الافك وسوء ظن نفسها على ما قال فيها الكا
ذبون ان كانت قبلها كما ذكر التمثل بامرأة نوح ولوط تحذير

لها ولحفصة

لها ولحصته مما اعتمدناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم فتضمنت
هذه الامثال التحذير لها والتخويف والتحريض لها على الطا
عة والتقرب اليه والتسلية وتطييب النفس لنا واذكارها منها
وكذب عليه واسرار التنزيل فوق هذا واجل منزلة واسمى اسرار
الامثال التي لا يعقلها الا العالمون قالوا فهذا بعضها اشتمل
عليه القرآن من التمثيل والقياس والجمع والفرق واعتبار
العلل والمعاني وربط نظائرها باحكامها كما تقدم واسند الا قالوا
وقد ضرب الله سبحانه الامثال وصرفها قدرا وشرعا وبسطها
ومثالها ودعا عباده على الاعتبار بذلك وعيبهم من ليس
الوظيفة واسند الامر بالنظر على النظير هذا
اصل عبادة الرؤيا التي هي جزء من اجزاء النبوة ونوع من انواع الوحي
فانها مبنية على القياس والتمثيل واعتبار المعقول بالمحسوس
الا ترى ان الشيباني في التأويل كالمتمرس يدا على الدنيا فما كان
فيها من قصر او طول او نظافة او دنس فهو في الدين كذلك الى
صلى الله عليه وسلم العين بالدنيا والعلم والعقل المنزل بينهما
ان كلا منهما ميسر صاحبه ويجعله بين الناس فالعين ميسر بدنه
والعلم والدين ميسر روحه وقلبه ويجعله بين الناس ومن
هذا تأويل اللبن بالفطرة لما في كل منهما من التغذية الموجبة
للحياة وكمال النشأة وان الطفل اذا ولد على فطرته لم يعدل

عن اللبن فهو مغطوب على ما سواه وذلك فطرة الاسلام
الى قطر الله عليها الناس ومن هذا تاويل البقر باهل الدين
والخير الذين بهم عمارة الارض كما ان البقر كذلك مع عدم شرها مع
كثرة خيرها وحاجة الارض واهلها اليها وهذا الثور الذى صلى الله
عليه وسلم تنحر كان ذلك لخراب اصحابه وهذا ذلك تاويل الزرع
والحرث بالعمل لان العامل مزارع للخير والشر ولابد انه يخرج
الدم بذرة كما يخرج الكاذب مزرعه ما بذره فالدنيا مزرعة
والاعمال البذار يوم القيمة يوم طلوع الزرع وحصاده
ومن ذلك تاويل الحشيش المقطوع الملقى بالمنافقين والجا
مع بانها ان المنافق لا روح فيه ولا ظل والاثم فهو بمنزلة
الحشيش الذى هو كذلك وهذا شبه تعالى المنافقين بالحشيش
المسند لانهم اجسام خالية عن الايمان والخير وفى كونها مسندة
نكتة اخرى وهى ان الحشيش اذا انتفع به جعل فى سقف او جدار
او غيرها من الانتفاع وما دام مترو كا فارغا غير منتفع به
جعل مسندا بعضه الى بعض فشبه المنافقين بالحشيش
والحالة التى لا ينتفع بها وهذا ذلك تاويل النار بالغنية ال
فناء وكل منهما ما يمر عليه ويتصل به فهذه حرف الاشجار و
المتاع والابدان وهذه حرف القلوب والابدان
والاديان ومن ذلك تاويل النجوم بالعلماء والاشراف
لحصول هداية اهل الارض بكل منهما ولان انتفاع الاشراف بين الناس

كانتفاع

كارتفاع النجوم ومن ذلك تأويل الفيث بالرحمة والعلم والقرآن
والحكمة وصلاح حال الناس ومن ذلك خروج الدم في التأويل
يدل على خروج المال والعدد المشترك انما قوام البدن بكل وا
حد منها ومن ذلك الحدث في التأويل يدل على الحدث في الدين
فالحدث الاصغر ذنب صغير والحدث الاكبر ذنب كبير
ومن ذلك اليهودية والنصرانية في التأويل بدعة في الدين
فاليهودية تدل على فساد القصد واتباع غير الحق والنصرانية
تدل على فساد العلم والجهل والضلال ومن ذلك الحديد في التا
ويل وانواع السلاح تدل على القوة والنصر بحسب جوه
ذلك السلاح ومشتبه ومن ذلك الرائحة الطيبة تدل على
الثناء الحسن وطيب القول والعمل والرائحة الخبيثة بالعكس
والميزان يدل على العدل والجراد يدل على الجنود والعساكر و
العوغاء الذي يموج بعضهم في بعض والنحل يدل على من يأكل طيبا
ويعمل صالحا والديك رجل عالي الهمة بعيد الصيت والحية
عدو وصاحب بدعة هالك سيئ والحشرات اوغاد الناس
والخلوق جلد اعمى يتكفف الناس بالسؤال والذيب رجل
غشوم ظلوم غادر خاتر والثعلب رجل غادر محتال مكار
مراوغ عتا والكلب عدو ضعيف كثير الصخب والشر في كلام
وشبابه او رجل متبوع هواه موثر له على دينه والسنور
العبد والخادم الذي تسلط على اهل الدار والقارة امرأة سوء

فاسقة فاجرة والاسد على كل رجل قاهر مسلط والكبش الرجل
المتبوع المتبوع ومن كل ات التعبير انكل ما كان وعاء للماء
فهو دال على الاناث وكل ما كان وعاء للمال كالصندوق والكيس
والجراب فذال على العلب وكل مدخول بعضه في بعض وممتزج
ومختلط فذال على الاشتراك والتعاون والنكاح وكل سقوط
وخروج من علو الى سفل مذموم وكل صعود وارتفاع فمحمود
اذا لم يجاوز العادة وكان مما يليق به وكل احراق النار فحمود
لما فيها من صلاح الناس وحياتهم وكذلك ما انكسر من الاوعية التي يشتعب
منها وكل ما خطف وسرق من حيث لا يرى خاطفه وسارقه فانه
ضائع لا يرجى وما عرف خاطفه او سارقه او مكانه او لم يغب
عن عيني صاحبه فانه يرجى عوده وكل زيادة محمودة في
الجسم والقامة والسلطان والذكر واللحية واليد والرجل فزيا
دة خير وكل زيادة متجاوزة للحد في ذلك فمذمومة وشر وفضيحة
وكل ما رأى من اللباس في غير موضعه المختص به فكرمة كالقلنسوة
في الرجل والخاتم في اليد والعقيدة في الساق وكل ما
استفضل او استخلق او امرأة سوء او خطب مما لا
يليق به ذلك فانه يدل على شر وفضيحة وشهرة قبيحة
وكل ما كان من ثياب الملابس كخلقة اهون على لا
بسه من جديده والجوز بال مكنوز فان تقطع كان قبيحا
وشرا ومن صار له ريش او جناح صار له مال فان طار سافر

وخروج

وخروج المريض من داره ساكنا يدل على صوته ومتكلما يدل على
حياته والخروج من الابواب الضيقه يدل على النجاة والسلامة
من شر وضيق هو فيه وعلى توبة ولاسيما ان خرج الى فضاء
سعة فهو خير محض والسفرة والنقلة من مكان الى مكان انتقال
من حال الى حال بحسب حال المكان الذى ومن عاد فى المنام الى حال
كان فيها فى البغضة عاد اليه بمفارقه من خرج من سجن او موت
الرجل ربما دل على توبته ورجوعه الى الله لانه الملك رجوع الى الله
قال الله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق والمرهون ما سوى الدين
او كبق عليه الله والصبيه ودواع المريض اهله وولد ميم
له دال على صوته وبالجملة فما تقدم من امثال القرآن
كلها اصلح وقوى عند اهل العبر واصول التعبير الصحيح انما اخذت
من مشكلات القرآن فالسفينة تعبر بالنجاة لقوله تعالى فانجيناه و
اصحاب السفينة وتعبر بالتجارة والخشب بالمنافقين والجحا
رة بقساوة القلوب والبيض بالنساء واللباس بصناعتهن
والشعر بالفتنة واكل لحم الرجل بغيبته والمفاتيح بالكتب
والخزائن والاموال والفتح للعبرة بالدعاء والنصر و
الملك يرى فى محله لاعادة باله بيد خوفا يعبر باذلال اهلها
وفسادها والجبل يعبر بالعهد والحق والعصمة والناس قد
يعبر بالاماء والبقل والبصل والثوم والعرس يعبر لمناداة
بانه قد استبدل شيئا ادنى بما هو خير منه مثال اورق

فاعلم
ثانيه

او علم او زوجة او ولد والمرض يعبر بالنفاق والشك وشهوة
الزنا والطفل الرضيع يعبر بالعفو لقوله تعالى فالتقطه آل
فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والتعانق بالنساء والبكاء بالعمل
الباطل لقوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد والنور
يعبر بالهدى والظلمة بالضلال وصف هنا هنا قال
عمر بن الخطاب لحابس بن سعد الطائي وقد رأه الصفا فقال له
رأيت الشمس والقمر يعقلان والنجوم بينهما تصفق قال نعم
اجل كنت قال مع القمر على الشمس قال كنا مع آية المحقة
اذهب فلست تعمل لي عملا ولا تعقل الا فيما من الامر فعقل
يوم صفين وصهيل الفارس رأيت الشمس والقمر دخلا في جوف
فقال لمن رأيت واضح يعبر له تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر
وجمع الشمس والقمر يعبر له الانسان يوم تذ اين المفر وقال جل
لابنا مسرعين رأيت معنى ان بعد ارغفة حتى طلعت الشمس فقال
ثم لان بعد ايام ثم قرأ قوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
الا به واخذ هذا التأويل انه حمل زقاق بعد ايام وقال له
اخر رأيت كبشي يملؤ ارضه فقال رأيت ميتا ثم قرأ فلما قضينا
عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض والنخلة تدل على
الرجل المسلم وعلى الكلمة الطيبة والحنظلة تدل على ضد ذلك
والصنم يدل على العبد السوء الذي لا ينفع والبستان يدل على

العمل

العمل واحترازه يدل على حبوطه كما تقدم في امثال الوزن ومن
رأى انه ينقض غزلا او شعرا بعيدة مرة ثانية فانه ينقض
عهدا او ينكثه والمشي سويا في الطريق مستقيم يدل على
استقامته على الصراط المستقيم والاخذ في نبات الطريق يدل
على عدوله عنه اذا خالفه واذا عرضت له طريقان ذات
يمين وذات شمال فسلك احدهما فانه من اهلها وظهر عورة
الانسان له ذنب يكبه ويفتضح به وهو به وعزاره من يتقي
فجاءة وظفر وغرفة في الماء فتنة في دينه ودنياه وتعلقه
بحبل بين السماء والارض تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله وعهده
واعتصامه بحبله فانه ان انقطع به فارق العصمة الا ان يكون
ولي امر فانه يقتل او يموت فالرؤيا امثال مضروبة بعضها
الملك الذي قد وكله الله بكلامه بالرؤيا ليستدل الرائي بالمضرب
له من المثل على نظيره ويعبر منه الى شبهه وهذا سمي تأويلها
معبرا وهو تفعيل من العبور كأن الانقاض يسمى اعتبارا
وعبورا لعبوره اللفظ من النظير الى نظيره ولولا ان حكم
الشيء حكم مثله وحكم النظير حكم نظيره لبطل هذا التعبير و
الاعتبار ولما وجد اليه سبيلا وقد اخبر الله سبحانه انه
ضرب الامثال لعباده في غير موضع من كتابه وامر باستماع
امثاله ودعا عباده الى تعقلها والتفكر فيها والاعتبار
بها وهذا هو المقصود بها تم آخره والحمد لله وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

فصل ثالث

كتبه عفى عنه بمنه وكرمه
امين احمد الشناوي

شهدت بان الله لا رب غيره ... وان محمدا رسول الله للثقلين
وان عيسى عبد الله رسولا ... وكلمة القاها الى مريم بلاميني
وان الجنة والنار حق ... امام جوع مخلوقان الى ابد الحينين

غيره

لو كان في العلم بعد التقى شرفا ... لكان اشرف خلق الله ابليسا

لشيخنا عبد الرزاق شيخنا العلامة محمد على رسلوه الحنبلي

العلم افضل ما يحصله الفتى ... بعد الحديث وبعده فقه لازم

فاحرص على تحصيله مراعيا ... وادم مطالعة الفتى بالعاكم

انشدنا شيخنا الشيخ عثمان بكسندا المالكي محدث البصرة لنفسه

حذارا حذارا من غضاب شيخ ... فان الشيخ معروف الحقوق

فان الله يغفر كل ذنب ... سوى ما للشيخ من عقوق

فلا تطلب رضا شيخ علوما ... فذى حمقا يؤدي للفسوق

فطه شيخه روح جبريل يرضى ... عن الله تعالى ذا وثوق

ملك عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود

٢٨

هذه مأعرة للشيخ بن تيمية جامعة في توحيد الله
واخلاص العمل له عبادة واستعانة
بدأ في نسخها صبح الخميس احد
عشر من رمضان سنة ست
وسبع مئة الهجرة
بعد الثمانين
والالف
وقع
تم وقع

وقف

لكاتبه عفى الله عنه بمنه وكرمه آمين

أشهد الله سرًا وجهرًا ... وكل من في البسيطة طرًا
بأنني بذنبي معترف ... فليس لي في غد عذرًا
فإن يعذبني فبمحض عدله ... وإن يعف فهو أهل لذاك

لكاتبه اليه مرتجلا عفى عنه آخر

أليس الذي من بالإسلام ... علي قبل معرفة الأحكام
جدير إياه يعود لو بي ... مليه وان يدخلني دار السلام

فائدة:
يقع كثيرا في ألسنة بعض الناس
قولهم في الدعاء أجرك الله
من غير ذكر المعصية
نحو أن يقول
أجرك الله على أن لا تعصيه
ونحو ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني اتحمد الله تعالى ونفع به

الحمد لله نحمده ونستعينه ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

فائدة جامعة

في توحيد الله واخلاص الوجه والعمل له عباده ودعوته واستعانته قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير وقال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقال عليه توكلت واليه انيب وقال تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال تعالى فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنات والمؤمنات وقال تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة

عنده الا لمن اذن له وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب
ربك كان محذورا وقال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون وقال تعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
الرحمن فاسئل به خبيرا وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ونظائر هذا في القرآن كثير وكذلك في الاحاديث
وكذلك اجماع الامة ايما اهل العلم والايمان منهم فان هذا عندهم
مطابق حال الدين كما هو الواقع ويبين هذا بوجوه يتقدم قبلها مقدمة
وذلك ان العبد بل وكل حي شيء الله بل وكل مخلوق هو فقير محتاج
الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة التي هي من جنس
النعيم واللذة والمضرة هي من جنس الالم والعذاب فلا بد له من
امر منفصل وهو المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويلتذ به
والثاني هو المعنى الموصل المحصل لذلك المقصود والملائم من دفع
المكروه وهذا من الاسباب المتصلة الفاعل والغاية فهذا ان يحبه
لشيء احدهما امر هو محبوب مطلوب الوجود والثاني امر مكروه مبغض
مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب والرابع الوسيلة
الى دفع المكروه فهذه الاربعة هو ضرورية للعبد

بل ولكل حي لا يقوم وجوده وصلاحه الا بها واما ما ليس بحي فالكلام
فيه على وجه آخر اذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه **احدها**
ان الله هو الذي يجب ان يكون هو المقصود على دفع المكروه وما
سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه وهو سبحانه يحصل
الامور الدينية دون ما سواه وهذا معنى قوله اياك نعبد واياك
نستعين فان العبودية تتضمن القصد المطلق. لكن على الكمال الوجوه
والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب فالاول من
معنى الوهية والثاني من معنى ربوبيته اذ الاله هو الذي يؤله
فيعبد محبة وتألها واجلالا واكراما والرب هو الذي يربي عبده
فيغذيه خلقه ثم يهديه الى جميع اصوله من العبادة وغيرها
وكذلك قوله تعالى عليه توكلنا واليه انبنا وقوله فاعبده وتوكل عليه
وقوله عليك توكلنا واليك انبنا وقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وقوله عليه توكلت واليه متاب وقوله وتبتل اليه
تبتيلا رب المشرق لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فهذا سبع مواضع
تنتظم هذين الاصلين **الوجه الثاني** ان الله خلق الخلق
لعبادته الجامعة لمعرفته والانابة اليه ومحبته والاخلاص له
فبذكره تطمئن قلوبهم وتسر به في الآخرة تقر اعينهم ولا شيء
يعطيهم في الآخرة احب اليهم من النظر اليه ولا شيء يعطيهم والد
انما اعظم من الايمانه وحاجتهم اليه في عبادتهم اياه وبناء لهم
اياه كل مجتمع واعظم في خلقه لهم وربوبيته اياهم فما ذلك

هو الغاية

هو الغاية المقصودة لهم وبذلك يصير وناعاملين مجدين ولا صلاح لهم
ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك فحال الابل من اعرض عنا عن ذكر
ربه فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى ولهذا كان الله
لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولهذا كانت لا اله
الا الله احسن الحسنات وكانت التوحيد يعدل لا اله الا الله ارس
الامر فما توحيد الربوبية الذي امر به الخلق وقرره اهل الكلام
فلا يكفي وحده بل هو من الحجة عليهم وهذا معنى ما روي يا ابن ادم
خلقت كل شيء لك وخلقتك لي فبحقي عليك لا تشتغل بما
خلق لك عما خلقت له واعلم ان هذا حق الله على عباده
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما في الحديث الصحيح الذي رواه
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتدري ما حق الله على عباده
قال قلت الله ورسوله اعلم قال حق الله على عباده ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا اتدري ما حق العباد على الله اذا فعلوا
ذلك قال قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم ان لا يعذبهم وهو
كما ذكر ذلك ويرضى به ويرضى عن اهله ويفرح بتوبة التائب
كما ان في ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه وقد بينت بعض
معنى محبة الله لذلك وفرحه به في غير هذا الموضع فليس ذلك
شيئا يمكن العبد اليه ويتلذذ به ويتنعم بالتوجه اليه الا
الله سبحانه وصف عبده عز الله وان احبه وصل له به مودة
في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو جنة لصاحبه اعظم

من مفسدة اللذة اذ كل الطعام المسموم فلو كان فيه الهة الام
لعبدتنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون فان قلت هلا قلت بالاله الحق
فلو كان فيها الهة غير الله لم يكن الها فان الله لا شبيه له ولا
مثل فكانت تفسد لا بتغاء بعضها على بعض هذا من جهة الالهية
واما من جهة الربوبية فشيء آخر كما يقرره في موضعه المتكلمون
واعلم ان فقر العبد الى ان يعبد الله لا يشرك به شيئا ليس له
نظير فيقاس به لكن يشبهه من بعض الوجوه حاجة الجسد الى
الطعام والشراب وبينهما فروق كثيرة فان صفقة العبد قلبه
ورأسه وهو لا صلاح لها الا بالهها الذي لا اله الا هو فلا
تطمئن في الدنيا الا بذكره وهو كادحة اليه كدحا فملاقيه ولا بد لها
منه فلا صلاح لها الا بلقائه ولو حصل للعبد لذيذ يتوسر به
بغير الله فلا بد يوما ذلك بل ينتقل من نوع الى نوع ومن شخص
الى شخص وينتفع بهذا في وقت وفي بعض الاحوال وقد يكون
ذلك الذي ينتفع به هو الذي يضر منع له بل قد يتوفى اهماله به
ووجوده عنده ويضره ذلك واما الله فلا بد له منه في كل
حال وكل وقت وانما كان منهجه وهذا قال الامام ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام لا احب الآفلين وهذا
كان اعظم آية في معرفة الله لا اله الا هو الحي القيوم وقد بسط
الكلام في معنى القيوم في موضع آخر وبينا ان الدائم الباقي
الذي لا يزول ولا يعدم ولا يفنى بوجه من الوجوه والله اعلم

انه هذا

انّ هذا الوجه مبنيّ على اصلين احدهما انّ نفس الايمان بالله وعبادته
ومحبّته واجلاله هو غاية الانسان وسعادته وصلاحه وفوزه ممّا يكمّل عليه
اهل الايمان وكلّ دليل عليه الوجه الاوّل لكنّا نعول منا يتعلّق منه باهل الكلام
ونحوهم انّ عبادته تكليف ومشقّة وخلاف مقتضى القلب المجرّد
الامّارة والاختيار وانّما لاجل الثّقل يثاب بالاجر كما يعوّل المعتزلة
وغيرهم فانّه وان كان في الاعمال الصالحة ما هو على خلاف
النفس فالله سبحانه ما اجر العبد على الاعمال الّتي يحبّها هو
كما قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب الآية وقال صلّى الله
عليه وسلّم لعائشة اجرك على قدر نصبك فليس ذلك هو المقصود
الاوّل بالامر الشرعي وانّما وقع ضمنا وتبعا لاسباب ليست هذه من
ضمنها هذا يفسّر في موضعه وهذا ممّا يجيء في الكتاب والسنّة و
كلام السلف اطلاق القول على الايمان والعمل الصالح انّه تكليف كما
يطلق ذلك كثير من المتكلّمة والمتفقّهة وانّما جاء في القرآن ذكر
التكليف في موضع النفي كقوله تعالى لا يكلّف الله نفسا الّا وسعها
لا تكلّف الّا نفسك لا يكلّف الله نفسا الّا ما اتاها اي اعطاها وان وقع
في الامر تكليف فلا يكلّف الّا قدر الوسع لانّه يشمل جميع الشرعة
شرعة تكليفا مع انّ غالبها قرّة العين وسرور القلوب ولذّات
الارواح وكمال النعيم وذلك لانّ ارادة وجه الله والانابة اليه
وذكره وتوجّه الوجه اليه فهو الاله الحقّ الّذي تطمئنّ اليه القلوب
ولا يقوم غيره مقامه في ذلك ابدا فاعبده واصطبر لعبادته

هل تعلم له سميا هذا الاصل الاول والاصل الثاني ان النعيم في الدار الاخرة
اصابه مثل النظر اليه لا كما تزعم طائفة منا اهل الكلام وغيرهم انه
لا نعيم ولا لذة الا بالمخلوقات من المأكول والمشروب والمنكوح وغير ذلك
بل اللذة والنعيم التام من حظوظ من الخالق سبحانه وتعالى كما في الدعاء
المأثور اسالك لذة النظر اليك وشوقا الى لقائك من غير ضراء
مضرة ولا فتنة مضلة رواه النسائي وغيره وفي صحيح مسلم وغيره عن
صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى
منادي يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون
الم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة
ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه سبحانه فما
اعطاهم شيئا احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فنبي الله صلى
الله عليه وسلم انهم مع كل نعيم بما اعطاهم الله في الجنة لم يعطهم
شيئا احب اليهم من النظر اليه وانما يكون احب اليهم لانهم يجدون به
ويلتذون به اعظم من النعيم واللذة بحسبه فان اللذة بشيء
الشعور بالمحبوب فكل ما كان الشيء احب الى الانسان كان حصول له
اللذة به وبشعوره به اعظم وقد ثبت في الصحيح ان يوم المزيد وهو يوم الجمعة
من ايام الاخرة مثل الاحاد في الدنيا وفي الاثار وبما يصدق هذا
ويشهد له قال في حق الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم فعذاب الحجاب اعظم من انواع العذاب ولذة
النظر الى وجهه اعلى اللذات والانعم حظوظ منا بشر

المخلوقات

المخلوقات مقام حظهم منه تعالى وهذا ان الاصل ان شيئا ما بالكتاب
والسنة وعليهما اهل العلم والايمان ويتكلم فيهما مشايخ الصوفية
العارفون وعليهما اهل السنة والجماعة وعوام الامة وذلك
من فطرة الله التي فطر الناس عليها وقد يحتج على من ينكرها با
لخصوص الوائل تارة وبالذوق والوجد اخرى اذ ان لكل لذة
فان ذوقها وجدها يغني انكارها وقد يحتج بالقياس وامثاله تارة وهو الاحسن العقلية

الوجه الثالث

ان المخلوق ليس عنده للعبد نفع ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا
ضلال ولا نصر ولا خذلان ولا خفض ولا رفع ولا عز ولا ذل بل ربه
هو الذي خلقه ورزقه ويضره وهداه واسبغ نعمه عليه فاذا مسه
الله بضر لم يكشفه عنه غيره واذا اصابه بنعمة لم يرفعها عنه سواه
والعبد فلا ينفعه ولا يضره الا باذن الله وهذا الوجه اظهر للعامة
من الاول ولهذا خوطبوا به في القرآن اكثر من الاول لكن اذا تدبر اللبيب
طريقة القرآن وجد ان الله يدعو عباده بهذا الوجه الى الاول وهذا
الوجه يقتضي التوكل على الله والاستعانة به والدعاء له وحده
دون ما سواه ويقتضي ايضا محبة الله وعبادته لاحسانه الى عبده
واسباغ نعمه عليه وحاجة العبد اليه ولكن اذا عبده واحبه و
توكل عليه من هذا الوجه دخل في الوجه الاول ونظيره والد
تاه من قد به بلاء عظيم وفاقة شديدة او خوف مخلوق فيجعل
يدعو الله ويتضرع اليه حتى فتح له من الدنيا ما جاءه وعظم
الايمان به والانابة اليه ما كان احب اليه من تلك الحاجة الى

قصدها اولا ولكنه لم يكن يعرف ذلك اولا حتى يطلبه ويشتاق اليه
والقرآن مملوء من ذكر حاجة العبد الى الله دون ماسواه ومن
ذكر نعمائه عليهم ومن ذكر ما وعدهم في الاخرة من صنوف النعيم
واللذات وليس عند المخلوق شيء من هذه الوجوه تحقق التوكل
على الله والشكر له ومحبته على احسانه **الوجه الرابع**
ان تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه اذا اخذ منه العبد
الزائد على حاجته وعبادة الله فان اخذ من الطعام و
الشراب فوق حاجته ضره او اهلكه وكذلك من النكاح واللباس
وان احب شيئا صيانا ما بحيث نحا الله فلا بد ان يسلبه او يعذبه
وقد وقع الامران لكثير احبوا من شيئ فكما قد يتألمون
واعلم ان كل من احب شيئا لغير الله فلا بد ان يضره محبوبه
ويكون ذلك سببا لعذابه ولهذا كان الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يمثل لاحدهم كنزه يوم
القيمة شجاعا اقرع يأخذ بلهزمتيه يقول انا كنزك انا مالك
وكذلك نظير هذا في الحديث يقول الله يوم القيمة يا ابن آدم
لم تزل عودا متى ان اوكل رجل منكم اليوم ما كان يتولاه والد
نها واصل التولي الحب فكل من تولى شيئا من دون الله ولاه
الله يوم القيمة ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا فمن
احب شيئا لغير الله فالضرر حاصل له ان وجد فقد وان فقد

يعذب

تعذب بالعذاب وتألم وتاذى وحرق فانه يحصل له من الالم اكثر مما يحصل
له من اللذة وهذا امر معلوم بالاعتبار والاستقراء كل من له
شيء من دون الله فان مضرته اكثر من منفعته فصارت المخلوقات
كلها لا عليه لا له وهذا تحقيق معنى ما روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
رواه الترمذي وغيره **الوجه الخامس** ان اعتماده على المخلوق
وتوكله عليه من جهله الضرر من جهة فانه يحذل من تلك +
الجهة وهذا ايضا معلوم بالاعتبار والاستقراء مما علق العبد
رجاءه وتوكله بغير الله الا خاب من تلك الجهة ولا استنصر
بغير الله الا خذله وقد قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكون
لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وهذا ان الو
جهان في المخلوق فان تنكر العبادة [illegible] والاستعانة بالخالق
قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين كان صلاح العبد في عبادة الله
واستعانته وكان في عبادة ما سواه واستعانته مضرته
وهلكته وفساده **الوجه السادس** ان الله سبحانه غني حميد كريم
واحد جميع فهو محسن الى عبده مع غناه عنه يريد به الخير ويكشف
عنه الضر لاجل منفعة اليه من العبد والدفع مضرة يأتي من جهة
واحسانه والعباد لا يتصور ان يصل الى حظوظهم فاكثر ما عندهم
للعبد ان يحبه ويعظمه ويحسن له منفعة ويدفع عنه مضرة
وان كان ذلك ايضا مما يتيسر الله سبحانه فانهم لا يفعلون ذلك الا
لحظوظهم من العبد اذ لم يكن العمل لله فانهم اذا احبوه طلبوا

ان ينالوا غرضهم من محبته سوى احبوه لجماله الباطن او الظاهر
فاذا احبوا الانبياء والاولياء وطلبوا لقاءهم يحبون التمتع برؤيتهم
ومماع كلامهم ونحو ذلك وكذلك من احب انسانا لينتفع عنده او ما
منه او جماله او كرمه فهو يحب ان ينال فضله من قلل المحبة ولولا
التذاذه بها لما احب وان جلب اليه منفعة كخدمة ومال او
دفع عنه مضرة كمرض وعدو ولو بالدعاء او الثناء فهو يطلب
العوض اذا لم يكن العمل لله فان جاز المملوك وعبيد المالك
احد ارباب الصناع واعوان الرئيس كلهم انما يسعون فاسئل اغراضهم
او يعرج الكل هم على قصد منفعة المخدوم الا ان يكون قد علم وادت
من جهة اخرى فيدخل ذلك في جهة الدنيا ويكون فيه طيع على
واصلا من باب المكلفات والا فالمعتبر بالعتبر الاول هو
منفعة نفسه وهذا ما حكمه الله الى ايام بها صالح خلقه اذ
قسم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفع بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا اذا تبين هذا ظهر ان المخلوق لا يقصد
منفعتك بالقصد الاول بل انما يقصد منفعة بل وان يكون ذلك
قد يكون عليك فيه ضرر اذا لم يراع العدل فاذا دعوه فقد دعوك
من ضر اقرب من نفعه والله سبحانه لم يرد ذلك ولمنفعتك لا
لينتفع بك وذلك بلا مضرة فتدبر هذا فلا احضه هذا الوجه
يفعل ان يرجع المخلوق او يطلب منه منفعة لك فانه لا يريد
ذلك بالقصد الاول كما انه لا يعود عليه ولا يحملك هذا على جفوة

الناس

الناس وتنزل الاصنام التي هي احمالا اذا هي بل احسن التي لله
لا الرجاء وكما لا تخفهم فلا تستحي وخف الله في الناس ولا تخش
الناس وان جبل الله في الناس ولا تستحي الناس في الله وكن ممن قال
الله فيه ويستحيها الا تقي الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده
من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال فيه انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا **الوجه السابع**
ان غالب الخلق يطيق ادراك حاجتك بك وان كان ذلك ضررا
عليك فان صاحب الحاجة اعمى لا يعرف الا مضارها **الوجه**
الثامن انه اذا اصابك مضرة في الخوف والجوع والمرض فان الخلق
لا يقدرون على دفعها الا باذن الله ولا يقصدون بدفعها الا غرض
من ذلك **الوجه التاسع** ان الخلق لو اجتهدوا ان ينفعوك
لم ينفعوك الا بما كتبه الله لك ولو اجتهدوا ان يضروك لم
يضروك الا بما كتبه الله فلا تعلق بهم رجاءك ولا خوفك قال
تعالى ان هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون
الا في غرور ان هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو
ونفور والنصر يتضمن لدفع الضرر والرزق يتضمن حصول المنفعة
قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم
من خوف وقال ولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من
لدنا وقال الخليل عليه السلام رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق
اهله من الثمرات الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم هل من خوف

وتنصرون الا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم **فصل**
جماع هذا انك اذا كنت غير عالم بمصلحتك ولا قادر على
كما ينبغي فغيرك من الناس اولى ان لا يكون عالما بمصلحتك ولا هو قادر
عليها ولا مريدا كما في الحديث الصحيح حديث الاستخارة اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب والله سبحانه هو يعلم ولا
تعلم ويقدر ولا تقدر ويعطيك من فضله العظيم **فصل**
وهو مثل المعدة لهذا الذي اياه وهو ان كل انسان فهو هائم حائر
حساس متحرك بالارادة بل كل حي فهو كذلك له علم وعمل باذنه والارادة
هي المشية والاختيار ولا بد في العمل الارادي الاختياري من مراد
هو المطلوب ولا يحصل المراد الا باسباب وهو سائل تحصله فان حصل
بفعل العبد فلا بد من قدرة وقوة وان كان من خارج فلا بد من
فاعل غيره وان كان منه ومن الخارج فلا بد من الاسباب كالآلات
ونحو ذلك فلا بد لكل حي من ارادة ولا بد لكل مريد من معونة يحصل به
مراده فصار العبد محبوبا على ان يقصد شيئا ويريده ويستعين
بشيء ويتعمد عليه في تحصيل مراده هذا امر حتم لازم ضروري
في حق كل انسان يجده من نفسه لكن المراد والمستعان قسمان
منه ما يراد لغيره ومنه ما يراد لنفسه والمستعان منه ما هو المستعان نفسه
ومنه ما هو تبع للمستعان وآله له من المراد انما يكون هو الغاية
المطلوبة فهو الذي يذل له الطالب ويحبه وهو الاله المعبود ومنه
ما يراد لغيره بحيث يكون المراد هو ذلك الغير فهذا مراد بالعرض ومن

المستعان

المستعان بما يكون هو الغاية التي يعتمد العبد عليه ويتوكل عليه ويعتضد به
ليس عنده فوقه غاية في الاستعانة ومنه ما يكون بعانة غيره بمنزلة
الاعضاء مع القلب والمال مع المالك والآلات مع الصانع فاذا دبر الانسان حال نفسه وحال نفسه وحال جميع الناس وجدهم لا يستغنون
عن هذين الامرين لا بد للنفس من شيء تطمئن اليه وتنتهي اليه محبتها هو
الهها ولا بد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها هو مستعان
سواء كان هو الله او غيره واذا كان فقد يكون عابدا وهو الكفر لمن
عبد غير الله مطلقا وسأل غير الله مطلقا مثل عباد الشمس والقمر
والكواكب وغير ذلك الذين يطلبون منهم الحاجات ويفزعون اليهم
في النوائب وقد يكون خاصا وهو المراد هنا مثل من غلب عليه حب المال
او حب شخص او حب الرياسة حتى صار عبد ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة
ان اعطي رضي وان منع سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
رواه البخاري وكذلك من غلب عليه جاهه وماله بحيث يكون عنده
مكرم من الرؤساء ونحوهم او خادم من الاعوان والاجناد
ونحوهم او صديق او مولاه هي التي تجلب المنفعة الفلانية
وتدفع المضرة الفلانية فهو معتمد عليها ومستعينا بها وهو
المستعان هو مدعو مسئول وهذا كثيرا ما يتلازم العبادة والاستعانة فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ونفعه وضره
خضع له وذل وانقاد واصبه هذه الجهة وان لم يحبه لذاته
لكن قد يقلب عليه الحال حتى يحبه لذاته ويتبع معبوده منه

كما يصيب كثيرا ممن يحب المال او يحب من يحصل له العز والسلطان وما
مناجبه العقل وارداده وقصده فقد لا يستعينه ويعتمد عليه الا اذا
استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه كما يستشعر المحب قدرة المحبوب
على وصله فاذا استشعر قدرته على تحصيل مطلوبه استعانه والا
فقد قال قائم ثالثه قد يكون محبوبا غير مستعان وقد يكون مستعانا
غير محبوب وقد يجتمع فيه الامران فاذا علم ان العبد لا بد له في كل وقت
وحال من منتهى يطلبه هواه ومنتهى يطلب منه وهو مستغاثه
وذلك هو صمده الذي يصمد اليه في استعانته وعبادته فبيان ان
قوله اياك نعبد واياك نستعين كلام جامع محيط اول آخر لا يخرج
عنه شيء فصدره الاقسام ان يعبد غيره ويستعين
وان كان مسلما فالشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل وما
ان يعبده ويستعين غيره مثل كثير من اهل العبادة الذين يقصدون
ن طاعة الله ورسوله وعبادته وجهه لا شريك له وتجمع قلوبهم
لما يستشعرون نصرهم ورزقهم وهداهم من جهة هذا الملوك والا
غنياء والمشايخ واما ان يستعينه وان عبد غيره مثل كثير من ذوي
الاحوال وذوي القدرة والسلطان الباطن او الظاهر واهل الكشف
والتاثير الذين يستعينونه ويعتمدون عليه ويسالونه ويلجاون اليه
لكن معصودهم غير ما امر الله به ورسوله وغير اتباع دينه وشريعته الى
تعبد بها رسوله والقسم الرابع الذي لا يعبدون الا اياه ولا يستعينون

الا اياه

الا اياه وهذا القسم الرباعي قد ذكر فيما بعد ايضا لكنه هنا يكون بحسب
العبادة والاستعانة وهناك يكون بحسب المعبود [illegible] المستعان
فهذا هو بحسب المعبود والمستعان فبيان انه لابد لكل عبد من معبود
ومستعان وفيما بعد بحسب عبادته لله واستعانته فان الناس على
اربعة اقسام **فصل** قال الله تعالى في ام القرآن والسبع المثاني
والقرآن العظيم وهي الشافية وهي الواجبة في الصلاة لا صلاة الا بها
وهي الكافية تكفي من غيرها ولا يكفي غيرها منها والصلاة افضل
الاعمال وهي مؤلفة من كلام طيب وعمل صالح فافضل كلها الطيب
والصالح وافضل الكلام والعمل الصالح واجبه والسجود كما جمع
بين الامرين في اول سورة انزلها على رسوله حيث افتتحها بقوله اقرأ
باسم ربك الذي خلق وختمها بقوله واسجد واقترب
فوضعت الصلاة على ذلك او لها القراءة واخرها السجود ولهذا
قال سبحانه في صلاة الخوف فاذا سجدوا فليكونوا من وراءكم والمراد بها
السجود الركعة التي يفعلونها وحدهم بعد مفارقتهم للامام وقيل القراءة
مع التكبير والاستفتاح والاستعاذة هي تحريم الصلاة ومقدمتها بمنزلة
ما يتصل بها كالمقدمة وما يفعل بعد السجود من قعود وتشهد فيه
التحية لله والسلام على عباده الصالحين والدعاء والسلام على الحنا
طيين فهو تحليل الصلاة ومعتقبها لما قبله قال النبي صلى الله عليه وسلم
مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم ولهذا
لما تنازع الناس ايما اكثر الركوع والسجود او طول القيام او هما
على ثلاثة اقوال عن احمد وغيره وكان الصحيح انهما سواء القيام فيه

افضل ح

افضل الاذكار والسجود افضل الاعمال فاعتد الاولهذا كان صلاة ر
سول الله صلى الله عليه وسلم معتدلا لم يطل القيام كما فرّ بيان السوا
واذا اطال القيام طول كثيرا كما كان يفعل في قيام الليل وصلاة الكسوف
اطال معه الركوع والسجود واذا قصر صلاته اقتصر في الركوع و
السجود وام الكتاب بكمالها القراءة الواجبة فهي افضل سورة في
القرآن قال النبي صلى الله عليه وسلم والحديث الصحيح لم ينزل في التوراة
ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وهي السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي اوتيته وفضائلها كثيرة جدا وقد جاء ما يؤيد
عن الحسن البصري رواه ابن ابي حاتم وغيره ولله انزل مائة كتاب
واربعة كتب جمع علمها في الاربعة وجمع علم الاربعة في القرآن
وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في ام القرآن وجمع
علم ام القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين اياك نعبد واياك نستعين
وان علم الكتب المنزلة من السماء جمع في هاتين الكلمتين وهذا
ثبت في الحديث الصحيح حديث قسمت الصلاة ان الله تعالى يقول قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لله ونصفها لعبدي
ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي واذا قال مالك
يوم الدين قال الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي
واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال فهذه الاية بيني وبين
عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فقد ثبت بهذا البرهان ان السورة

قسمة

متمم بين الله وبين عبده وان لها بين الكلمتين مقسم السورة
فاياك نعبد لله وايك نستعين هو ما بعده للعبد وله
ما سال وهذا قال من قال من السلف نصفها ثنا ونصفها مسئلة
فكل واحدة من العبادة والاستعانة دعاء واذا كان الله عز وجل قد فرض
علينا ان نناجيه وندعوه بها بين الكلمتين في كل صلاة فمعلوم ان
ذلك يقتضي انه فرض علينا ان نعبده ونستعينه اذ ايجاب القبول
الذي واقرار اعم افاده دعاء وسؤال هو ايجاب لمعناه ليس
ايجابا لمجرد لفظ لا معنى له فان هذا لا يجوز ان يقع بل ايجاب ذلك
ابلغ من ايجاب مجرد العبادة والاستعانة فان ذلك قد يحصل
اصله بمجرد القلب والقلب واللسان بل اوجب دعاء الله وسؤاله
جانبه وتكليمه ومخاطبته بذلك ليكمل الواجب من ذلك كاملا صورة
ومعنى بالقلب وسائر الجسد وقد جمع بين هذين الاصلين الجامعين
معنى ايجابا وغير ايجاب في مواضع كقوله في آخر سورة هود
فاعبده وتوكل عليه وقول العبد الصالح شعيب عليه السلام
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقول ابراهيم والذين
معه عليك توكلنا واليك انبنا وقوله سبحانه اذ امر رسوله ان
يقول كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب فامر نبيه بان يقول على الرحمن توكلت و
اليه متاب بكما امر بهما في قوله فاعبده وتوكل عليه والامر له امر لامته
وامره بذلك في ام القرآن وفي غيرها لامته ليكون معلوما ذلك طاعة لله

واستشكال لامرة لا تعد ما بين يدي الله ورسوله وهذا كان عامة ما
يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم والخالصون من امته مثل الدعية
والعبادات وغيرها انما هو بامر من الله بخلاف من يفعل ما لم
يؤمر به وان كان حسنا او عفوا وهذا احد الاسباب الموجبة
لفضله وفضل امته على من سواهم وفضل الخالصين من امته
على المشوبين الذين شابوا ما جاء به بغيره كالملح فانه عين الصراط
المستقيم والى هذين الاصلين كان ابي صلى الله عليه وسلم يقصد
في عباداته واذكاره ومناجاته مثل قوله في الاضحية اللهم منك
ولك فان قوله منك هو معنى التوكل والاستعانة وقوله لك
هو معنى العبادة ومثل قوله في قيامه من الليل اللهم لك اسلمت
وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت
واليك حاكمت اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي
الذي لا يموت والجن والانس يموتون الى امثال ذلك اذا تقرر
هذا الاصل فالانسان في هذه الواجبات لا يخلو اما ان يأتي
هي القسمة الممكنة اما ان يأتي بها والعبادة فقط
واما ان يأتي بالاستعانة فقط واما ان يتركهما جميعا وهذا كله
ة الناس في هذه الاقسام الاربعة بل اهل الديانات هم اهل هذه
الاقسام وهم المعصومون هنا الكلام فيمن يغلب عليه قصد
الثناء لله ومتابعة الامر والنهي والاخلاص لله تعالى واتباع
الشريعة في الخضوع لاوامره ونواهيه وكلماته الدينية

لكن يكون

لكن يكون منقوصا من جانب الاستعانة والتوكل فيكون لما عاجزا
ولما مفرطا وهو مغلوب اما مع عدوه الباطن واما مع عدوه الظا
هر وربما يكثر من الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته وهذا
حال كثير ممن يعرف شريعة الله وامره ويرى انه متبع للشريعة
وللعبادة الشرعية ولا يعرف فقهاء وعنده وهو حسن القصد
طالب للحق لكنه عاجز بالسبل الموصلة والطرق المفضية و
متسم بغلبة علمه وقصده الاستعانة بالله والتوكل عليه واظهار الفقر
والفاقة بين يديه والخضوع لعظمته وكلماته الكونية لكن يكون
منقوصا من جانب العبادة والاخلاص لله ومنهاجه
بل وقصده نوع سلطان في العالم اما سلطان قدرة وتاثير واما
سلطان كشف واخبار وقصده طلب ما يريده ودفع
ما يكرهه باي طريق كان او معصوده نوع عبادة وتاله باي
وجه كان فهذه فيه الاستعانة والتوكل المعينة على مقصوده
فيكون اما جاهلا واما ظالما تارك لبعض ما امر الله به وركب لبعض
ما نهى الله عنه وهذا حال كثير ممن يتهاء له ويتصوف ويتفقر
ويشهد قدر الله وقضاءه ولا يشهد امر الله ونهيه ويشهد
تمام الاكوان بامره وقربها اليه واقامته له ولا يشهد
امريه وما الذي يحبه الله له وما الذي نهاه الله عنه ولهذا
يكثر فيهم الاستحسان له كشف وتاثير وخرق عادة مع اخلال بعض
بعض الشريعة ومخالفة لبعض الامر واذا اوغل الرجل منهم

دخل في الاباحة والانحلال وربما صعد الى فساد التوحيد فيجعل بني
الاباحة والحلول المعتقد ومع لكثير من الشيوخ ويوجد بكلام
صاحب منازل السائرين وغيره ما يفضي الى ذلك وقد يدخل قوله
في الحلول والاتحاد المطلق والقول بوحدة الوجود فيعتقد
ان الله هو الوجود المطلق فيقول كما قال صاحب الفتوحات
المكية في اولها الرب حقا والعبد شعري فيا ليت شعري من المكلف ان قلت عبد
فذلك مت او قلت رب اي يكلف وقسم ثالث معرضون عن عبا
دة الله وعن الاستعانة به جميعا وهم فريقان اهل دنيا واهل
دين فاهل الدين منهم اهل البدع الفاسدة الذين يعبدون غير
الله ويستعينون غيره بظنهم هواهم ان يتبعون الا الظن
وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى واهل الدنيا
منهم الذين سطلبون ما يشتهونه من العاجلة بما يعتقدونه من
الاسباب وعلم انه يجب التعريف بما من قد تعرض عن عبادة
الله والاستعانة به وبنى ما يعبد غيره ويستعين سواه فصل
قال الله سبحانه في اول سورة الحمد لله رب العالمين فبدأ بهذين
الاسمين الله والرب والله هو الاله المعبود فهذا الاسم احق بالعبا
دة وهذا تهال الله اكبر الحمد لله سبحان الله لا اله الا الله والرب
هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي وهذا الاسم احق با
لاستعانة والمسالة وهذا تهال رب اغفر لي ولوالدي ربنا ظلمنا

انفسنا

انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اى ظلمنا انفسنا
فاغفر لنا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا ربنا لا تؤاخذنا ان
نسينا او اخطانا مقامة المسئلة والاستعانة المشروعة باسم الرب
فالاسم الاول يتضمن غاية العبد ومصيره ومنتهاه وهو ما خلق له
وهو فيه صلاحه وكماله وهو عبادة الله والاسم الثانى يتضمن خلق
العبد وتربيته اياه وانه ربه ومولاه مع ان الثانى يدل والاول
يدخل الربوبية فى الالوهية والربوبية تستلزم الالوهية ايضا
والاسم الرحمن كمال التعلق وصفة الرحيم فيه تتم سعادة
خلقه واخراه ولهذا قال وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو
عليه توكلت واليه متاب فذكر هنا الاسماء الثلاثة الله الرحمن والرب
والاله وقال عليه توكلت واليه متاب كما ذكر الاسماء الثلاثة فى ام القرآن
لكن بدا هناك باسم الله ولهذا بدا فى السورة باياك نعبد فقدم الاسم وما
يتعلق به من العبادة لان تمام السورة فاتحة الكتاب وام القرآن
فقدم فيها المقصود الذى هو العلة الغائية فانها علة فاعلية
للعلة وقد بسطت هذا المعنى وما صنع فى اول التفسير وفى قا
عدة المحبة والارادة وفى غير ذلك **فصل** ولما كان علم الخلق
بحاجتهم وفقرهم الى الله قبل الاصابة كانوا يسرهم بالله مناجية
ربه بينه اسبق من اقرارهم به من جهة الوهيته وكانت الدعاء
والاستعانة والتوكل عليه منهم اكثر من العبادة له والانابة اليه

ولهذا لما بعث الرسل يدعونهم الى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو
المعبود والمستلزم للاقرار بالربوبية ومداجرعنهم انكم لئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله وانهم اذا مسهم الضر ظل من تدعون الا اياه
وقال واذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم
بربوبيته واذا هم يشركون فله الدين اذا مسهم الضر دعاهم واستغاثهم
لم يدعوه عبادة في حال حصول اغراضهم وكثير من المتكلمين انما
يقرون بالواحدانية من جهة الربوبية فاما الرسل فهم دعوا اليها من جهة
الالوهية وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة ارباب الاحوال انما توجههم
الى الله من جهة ربوبيته لما يهدم في الباطن من الاحوال الى شهود القدر
وهؤلاء من جنس الملوك وقد ذم الله في القرآن هذا الصنف كثيرا
وتدبر هذا فانه يكشف به احوال قوم يتكلمون في الحقائق ويسلكون عليها
وهم [illegible] العمري في نوع الحقائق الكونية القدرية الربوبية لا في
الحقائق الدينية الشرعية الالهية وقد تكلمنا على هذا المعنى في مواضع
متعددة وهو اصل عظيم يحيي الاعتناء والله سبحانه اعلم

فصل

متصل بالذي قبله وذلك ان الانسان بل وجميع المخلوقات عبادا لله
تعالى مفتقرة اليه في كل وقت وهو ربهم ومليكهم والههم كما انه الاله في
المخلوق ليس له من نفسه شيء اصلا بل نفسه وصفاته وافعاله وما
ينتفع به او يستحقه وغير ذلك انما هو من خلق الله والله رب ذلك
كله ومليكه وباريه وخالقه ومصوره واذا قلنا ليس له من نفسه
الا العدم فالعدم ليس هو شيء يفتقر الى فاعل موجود بل العدم ليس
بشيء وبقاؤه مشروط بعدم فعل الفاعل لان عدم الفاعل يوجب

ويقتضيه

فائده

ويقتضيه كما يوجب الفاعل المعلول الموجود بل وقد يقتضي عدم المعلول
لا عدم العلة وبينهما فرق وذلك المعلول الموجود انما خلقه وابدعه الفا
عل وليس المعدوم ابدعه عدم الفاعل فانه يفضي الى التسلسل والدور
لانه ليس مقتضاه احد العدمين للاخر بل ولمن العكس فانه ليس احد
العدمين مميزا لحقيقة اسوى جهة ان تكون فاعل وان كان يعقل
ان عدم المقتضي اولى بعدم الاثر من العكس فهذا انما كان وجود المقتضي
هو المفيد لوجود المقتضى صار العقل يضيف عدم الى عدمه اضافة
لزومية لان عدم الشيء انما يكون لعدم المقتضي او لوجود المانع بعد
قيام المقتضي لا يعقل ان يكون العدم الا لاحد هذا بخلاف ما كان الشيء
الذي انعقد سبب وجوده بعدمه المانع المنافي وهو امر موجود وتارة
لا يكون سببه قد انعقد صار عدمه تارة ينسب الى عدم مقتضيه وتارة
تارة الى وجود منافيه وهذا معنى قولنا الملايين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم
لم يكن فمشيئته موجبة للكائنات كلها وما شاءه لم يكن اذ مشيئته هي
الموجبة فيلزم من انتفائها انتفائها لا يكون شيء حتى يكون مشيئته
لا يكون شيء بدونها بحال فليس لنا سبب يقتضي وجوده شيء حتى يكون مشيئته
مانعة من وجوده بل مشيئته هي السبب الكامل لوجودها لا مانع
مع عدمها لا مقتضي مانعة الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله قل ارايتم ما تدعون من دون الله
ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون واذا عرف ان العبد

ليس له من نفسه خير اصلا بل ما من نعمة فمن الله وإذا مسنا الضر فاليه
نجأر والخير كله بيديه كما قال ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك وقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم
مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم
فى سيد الاستغفار الذى فى صحيح البخارى اللهم انت ربى لا اله الا انت
خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ
بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لى انه
لا يغفر الذنوب الا انت وقال فى دعاء الاستفتاح الذى فى صحيح مسلم لبيك
وسعديك والخير بيديك والشر ليس اليك تباركت وتعاليت وذلك
ان الشر اما ان يكون موجودا او معدوما فالعدم سئ اكان عدم ذات
او عدم صفة من صفاتها او فعل من افعالها كمثل عدم الحياة
والعلم والسمع والبصر او الكلام او العقل او العمل الصالح على
تنوع اضافته مثل معرفة الله ومحبته وعبادته والتوكل عليه
والانابة اليه ورجاءه وخشيته والامتثال لاوامره واجتناب نواهيه
وغير ذلك من الامور المحمودة الظاهرة والباطنة من الاقوال والافعال
فان هذه الامور كلها حسنات وحسن له بارئ فاعل فيضاف الى الله
لكن هذا العدم ليس بشئ اصلا حتى يكون
وانما هو من لوازم النفس التى هى حقيقة الانسان قبل ان تخلق و
بعد ان خلقت فلها قبل انا تخلق عدم مستلزم لهذا العدم و
بعد ان خلقت وقد خلقت ضعيفة ناقصة ففيها النقص والضعف
والعجز فان هذه امور عدمية فاضيق الى النفس من باب اضافة عدم
الملزوم الى عدم لازمه وعدم علة مقتضيه وقد يكون من باب اضافة

الى وجود

الى وجود منافيه من وجه آخر سنبينه ان شاء الله وبالجملة الامارة هذا الشر
والسيئات العدمية لشيء موجودة حتى يكون الله خالقها فانه خالق كل شيء
والمعدوم لا تنسب تارة الى عدم فاعلها وتارة الى وجود مانعها فلا
تنسب اليه هذه الشرور العدمية على الوجهين الاولين فان الحق
المبين فلا يقال عدمت لعدم فاعلها او مقتضيها واما الثالث
وهو وجود المانع فلان المانع انما يحتاج اليه اذا وجد المقتضى ولو شاء
الله فعلها لم يمنعها مانع وهو سبحانه لا يمنع نفسه ما شاء فعله بل هو فعال
لما يشاء ولكن قد يخلق هو سببا مقتضيا ومانعا فان جعل السبب يمنع
شيئا ولم يجعله تاما منع المانع لضعف السبب وعدم اعانة الله له فلا
يعدم امرا الا لانه لم يشأه كما لا يوجد امرا الا لانه يشاؤه واما اضافة
هذه السيئات العدمية الى العبد لعدم السبب منه تارة ولوجود المانع
منه اخرى اما عدم السبب فظاهر فانه ليس منه قوة ولا حول ولا خير
ولا سبب خير الا ولو كان منه شيء لكان سببا صالحا فيه لعدم السبب
ولانه قد تقرر ان منه افعال كانت سببا لها ما اعانه الله فما لم يصدر منه
كان لعدم السبب واما وجود المانع المضاد المنافي فلان نفسه قد
تضيق وتضعف وتعجز ان تجمع بين افعال ممكنة في نفسها متنافية في حقه
فاذا اشتغل بسمع شيء او ببصره او الكلام في شيء او النظر فيه او ارادته او
اشتغله جوارحه بعمل كثير اشتغله عن عمل آخر فصار قيام احدى
الصفات والافعال بها مانعا وصادا عن آخر وان كان ذلك خيرا لضيقه
وعجزه والضيق والعجز يعود الى عدم قدرة فعاد الى العدم الذي هو
منه والعدم المحض ليس بشيء حتى يضاف الى الله تعالى واما ان كان الشر
موجودا كالالم وسبب الالم فينبغي ان يعرف ان الشر الموجود ليس شرا على

الاطلاق والاشر محضا وانما هو شر في حق من نالم به وقد يكون مصلحة من وجه
فوائد ولهذا جاء في الحديث الذي رويناه آمنت بالقدر خيره وشره و
حلوه ومره وفي الحديث الذي رواه ابو داود لو انفقت مثل الارض
ذهبا ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وتعلم ان ما اصابك
لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فالخير والشر هما بحسب
العبد المضاف اليه كالحلو والمر سواء وذلك ان من نالم بنا وتم بالشيء
ليس في صفة شر ومن ينتفع به فهو في حقه خير كما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعلم منافقين على احدهم رفقا ان يقول خيرا تلقاه وشر الله
تعالى خير الناس وشر الاعداء ناقاذا اصاب العدو شر اسر قلبا عدوه
فهو خير لهذا وشر لهذا ومنالم يكن لهذا ولا لهذا فليس في صفته
لا خير ولا شر وليس في مخلوقات الله سبحانه ما يؤلم الخلق كلهم دائما
ولا يسرهم دائما بل مخلوقاته اما مختلطة لهم او بعضهم في
اغلب الاوقات كالشمس والعافية فلم يكن في الموجودات الى خلقها
الله ما هو شر مطلقا عاما فعلم ان شر المخلوق الموجود شر معين خاص
وفيه وجه آخر هو به خير وحسن وهو اغلب وجهيه كما قال تعالى احسن
كل شيء خلقه وقال تعالى صنع الله الذي اتقن كل شيء وقال تعالى
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت والارض بنيناها وما خلقنا هذا باطلا وقد علم
بالعقل ان الله تعالى لم يخلق شيئا الا لحكمة فتلك الحكمة وجه حسنه وخيره
والا كون في المخلوقات شر محض لا خير فيه ولا فائدة فيه بوجه وبهذا
يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك وكون الشر وصفا لم يضف
الا الله بل اما بطريق العموم او باضافة الى السبب المحل فاعل فهذا

الشر الموجود

الشر الموجود الخ صار المقتضى سببه اما عدم واما وجود والعدم مثل
عدم شرط او جزء سبب اذ لا يكون سببه عدما محضا فان المحض لا يكون
سببا بما الوجود ولكن يكون سبب الخمر واللذة مذ انعقد ولا يحصل الشرط
منع الالم وذلك مثل عدم فعل الواجبات الذي هو سبب الذم والعقاب
ومثل عدم العلم الذي هو سبب الم الجهل وعدم السمع والبصر والنطق
الذي هو سبب الالم بالعمى والصمم والبكم وعدم الصحة والقوة الذي هو سبب
الالم بالمرض والضعف فهذا الموضع ونحوها يكون الشر ايضا مضافا الى العدم
المضاف الى العبد حتى يتحقق قول الخليل عليه الصلاة والسلام واذا مرضت
فهو يشفين فان المرض وان كان الما موجودا فسببه ضعف القوة وانتقال
الصحة الموجودة وذلك عدم هو من الانسان المعدوم بنفسه ويتحقق
قول الحكماء ان صاحبك متاسية فمن نفسك وقوله قل هو من عند انفسكم
ونحو ذلك مما كان سببه عدم فعل الواجب كذلك اقوال الصحابة وان يكن
خطأ فمنى ومن الشيطان تبيانى ذلك ان الملحدين مانعوا جميعها من الكفر والفسوق
والعصيان انما فعلها العبد بجهله او لحاجته فانه اذا كان عالما بضررها
وهو غنى عنها امتنع ان يفعلها والجهل اصله عدم والحاجة اصلها
العدم فاصل وقوع الشر من هو عدم العلم والغنى وهذا اصل في القرآن
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يعقلون ولو كانوا يعقلون وانهم ضالون فهم على
آثارهم يهرعون الى نحو هذه المعاني والجهل الذي هو سبب الشر الموجود
الذي هو خاصا كالالم مثل الافعال المحرمة من الكفر الذي هو تكذيب او
استكبار والفسوق الذي هو فعل المحرمات ونحو ذلك فان ذلك سبب
الذم والعقاب بدليل ذلك تناول الاعذبت الضارة وكذلك الحركات السديدة
الموروثة للالم فهذا الوجود لا يكون وجودا محضا اذ الوجود التام المحض
لا يورث خيرا كما يكون سبب التكذيب عدم معرفة الحق والاقرار به وسبب عدم هذا العلم

والقول عدم اسبابه من النظر التام والاستماع التام لآيات الحق واعلامه وسبب
عدم النظر والاستماع واما عدم المقتضى فليس عدما محضا واما وجود مانع
من الكبر والحسد في النفس والله لا يجعل كل مختال فخور وهو يصور باطل و
سببه عدم التفات بالحق فيعتاض عنه بالخيال الباطل والحسد ايضا سببه
عدم التفهم الذي يصير به المحسود افضل منه فان ذلك يوجب كراهيته
الى ان لا يكافيه المحسود ويتفضل عليه وكذلك العشق كالتعشق
والزنا وسائر القبائح انما سببها حاجة النفس الى الاستمتاع بالقبيل والا
لذة اذ بالزنا والاثم حاصل عن ضربه لا قتل او نيل اللذة بلا زنا لا
يفعل ذلك فالحاجة مصدرها العدم وهذا بين اذ بديهة الانسان
ان الشر الموجود انما يضاف الى عدم العلم او وجود فلا بد ان يكون وجودا ناقصا
فتارة يضاف الى عدم كمال السبب او وجود الشرط وتارة يضاف الى وجود
ويعبر عنه تارة بالسبب الناقص والمحل الناقص وسبب ذلك اما عدم شرط
او وجود مانع والمانع لا يكون مانعا الا لصفة المقتضي وكل ما ذكرته
واضح بين الا هذا الموضع ففيه غموض تبين عند التامل وله طرفان
احدهما ان الموجود لا يكون سببه عدما محضا والثاني ان الموجود
لا يكون سببا للعدم المحض وهذا معلوم للعقل بديهة ان الكائنات الموجودة
لا تصدر الا عن حامل موجود وهذا كان معلوما بالفطرة انه لا بد
لكل مصنوع من صانع كما قال تعالى ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون
يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم ام هم خلقوا انفسهم ومن المتكلمين
من استدل على هذا المطلوب بالقياس وضرب الامثال والاستدلال
عليه ممكن ودلائله كثيرة والفطرة عند صحتها اشد اقرارا به وهو لها

البدء وهي اليه اشد اضطرارا من المثال الذي يقاس به وقد اختلفوا هل
الاصل في اللغة الشريعة هل يجوز تعليل الحكم الوجودي بالوصف العدمي
فمنهم من قال يعلل به ومنهم من قال لا يعلل به ومنهم من فصل فقال
لا يجوز ان يكون علة للوجود في قياس الدلالة العلة ويجوز ان يكون
علة فلا يضاف اليه في قياس الدلالة وهذا فصل الخطاب وهو ان
في قياس الدلالة يجوز ان يكون العدم فيه علة وجزء من علة لان عدم
الوصف قد يكون دليلا على عدم وصف وجودي يقتضي الحكم والقياس العلة
فلا يكون العدم فيه علة تامة لكن يكون جزءا من العلة التامة
وشرط العلة المقتضية التي ليس بتامة وقولنا جزء من العلة التامة
هو معنى كونه شرطا في اقتضاء العلة الوجودية وهذا نزاع لفظي فاذا
حققت للعاقل تعقل هذا تبين له احد الطرفين وهو ان الموجود لا يكون
مسببه عدما محضا واما الطرف الثاني فهو ان الموجود لا يكون مسببا الموجود
يستلزم عدما فلان العدم المحض لا يفتقر الى سبب هو وجود بل
يكفي فيه عدم السبب الموجود لان السبب الموجود اذا اثر فلا يزيد ان
يوجد شيئا والعدم المحض ليس بشيء فالاثر الذي هو عدم المحض بمنزلة
عدم الاثر بل اذا اثر العدم فالعدم امر وجودي منه عدمه فان
جعل الموجود معدوما والمعدوم موجودا امر معقول اما جعل المعدوم
معدوما فلا يعقل الا بمعنى الابقاء على العدم والابقاء على العدم يكفي فيه
عدم الفاعل والفرق معلوم بين عدم الفاعل وعدم الموجب وعدم
العلة وبين فاعل العدم وموجب العدم وعلية العدم والعدم
لا يفتقر الى الثاني بل يكفي فيه الاول فتبين ذلك الطرفان وهو ان
العدم المحض الذي ليس فيه شوب وجود لا يكون لوجوده لا سبب ولا مسببا

ولا فاعلا ولا مفعولا اصلا فالوجود المحض التام الذي ليس فيه شيء بعدم
لا يكون سببا لعدم اصلا ولا مسببا عنه ولا فاعلا له ولا مفعولا اما كونه
ليس مسببا عنه ولا مفعولا له فظاهر واما كونه ليس سببا له فان كان
سبب العدم محضا فالعدم المحض لا يفتقر الى سبب موجود وان كان
لعدم فيه وجود فذلك الوجود لا بد له من سبب ولو كان سببه قائما
وهو قابل لما دخل فيه دخل فيه عدم فانه اذا كان السبب قائما والمحل
قابلا وجب وجود المسبب فحيث كان فيه عدم فالعدم ما في السبب اقتضاه
المحل فلا يكون وجودا محضا فظهر ان السبب حيث يخلق حكمه ان كان لفوات
شرط فهو عدم وان كان لوجود مانع فذلك ايضا لفقد المقتضي السبب وهو
ايضا عدم قوته وكماله فظهر ان الوجود ليس سببا للعدم المحض وظهر
بذلك القسمة الرباعية وهو ان الوجود المحض لا يكون الا خيرا بل ذلك
ان كل شر في العالم لا يخرج عن قسمين اما الم واما سبب الالم وسبب الالم
مثل الافعال المسببة المقتضية للعذاب والالم الموجود لا يكون
الا لنوع عدم كما يكون سببه نوعي اتصال ونوعي الاتصال هو عدم
الملائم والاتصال الذي بينهما وهو الشر والفساد واما سبب الالم
وقد قررت في قاعدة جليلة ان اصل الذنوب هو عدم الواجبات
لا فعل المحرمات وان فعل المحرمات انما وقع لعدم الواجبات فصار
اصل الذنوب هو عدم الواجب واصل الالم هو عدم الاتصال ولهذا
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم في خطبة الحاجة ان يقولوا فنستعيذ
من شر النفس التي تبعث على ذنوبها وخطاياها ونستعيذ من سيئات
الاعمال التي هي عقوبتها والامها فان قوله ومن سيئات اعمالنا قد
يراد به السيئات من الاعمال وقد يراد به العقوبات فان لفظ السيئات

في كتاب الله

في كتاب الله يريد به ما يسوء الانسان من الشر وقد يريد به الاعمال السيئة
قال تعالى ﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ وقال وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومعلوم ان شر النفس
هو الاعمال السيئة فملكوع سيئات الاعمال الشر والعقوبة التي صلة بها
ليكون مستعيذا منافي عن السيئات الاعمال السيئة وعقوباتها كما في الاستعاذة
الماموربها في الصلاة اعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب
القبر ومن فتنة المسيح الدجال فامر بالاستعاذة من عذاب الاخرة
عذاب القبر خوف من سبب العذاب وهو فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح
الدجال وذكر الفتنة الخاصة بعد الفتنة العامة فتنة المسيح الدجال
فانها اعظم الفتن كما في الحديث الصحيح بامن خلق آدم الى قيام الساعة
فتنة اعظم من فتنة المسيح الدجال **فصل** اذا ظهر ان العبد
وكل مخلوق فقير الى الله محتاج اليه ليس فقيرا الى سواه فليس هو مستغنيا
بنفسه ولا بغير فان ذلك الغير ايضا محتاج ومن المامور
عن ابي هريرة رحمه الله انه قال استعاذة المخلوق بالمخلوق كاستعاذة
الغريق بالغريق وعن ابي عبد الله القرشي انه قال استعاذة المخلوق بالمخلوق
كاستعاذة المسجون بالمسجون وهذا تقريب والا فهو كاستعاذة العدم بالعدم
فان المستعان به بان لم يخلق الحق قيمة وجودا والا فليس من نفسه
شيء قال سبحانه فمن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وقال تعالى وسلهم ايهم بذلك زعيم ام لهم شركاء الله واسم
العبد تنا ولا معنيين **احدهما** بمعنى العابد كما قال ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا وقال تعالى وله اسلم من في السموات
والارض طوعا وكرها وقال تعالى بديه السموات والارض كل له قانتون

وقال سبحانه ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها والداخر
بمعنى العابد وهو الذي يعبده ويستعبده وهذا هو المذكور في قوله وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال تعالى عيناً يشرب بها عباد الله
يفجرونها تفجيرا وقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله الا عبادك
منهم المخلصين وقوله سبحانه يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون وقوله تعالى واذكر عبدنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقوله
فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله نعم العبد انه اواب وقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وهذه العبودية
قد تخالف الانسان منها تارة واما الاولى فوصف لازم اذ ان يد
يهكبر بان العدد على وتصريفه الى قوله فان مقر المخلوق قاله وعبودية
امر ذاتي له ولا وجود له بدون ذلك والحاصل ضرورية كل المصنوعات
المخلوقات وبذلك هي آية لخالقها وفاطرها اذ لا قيام لها بدونه وانما
يفترق من شهود هذا العبودية والاضطرار وعزوبه عن قلوبهم وفي
الاستسلام والانقياد لمن انت اليه فقير وهو ربك والهك
فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها
واليه يرجعون وعامة السلف على ان المراد بالاستسلام و
استلام هو له بالخضوع والذل لا مجرد تصريف الربوبية كما في قوله ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وهذا الخضوع هو ايضا لازم
لكل عبد لا بد له من ذلك وان كان معرضا حيا فانا الاعراض عنه ريب والا
شكيك وقلا بد له عند التحقيق من الذل والخضوع له وهذا العلم والعمل
هو امر فطري ضروري قانا النفوس تعلم فقرها الى خالقها وتذل لمن

(فتقرت اليه

افتقر اليه وغناه عما سواه الصمدية الى المفرد فانه يسأله معانى السموات
والارض وهو شهود الربوبية بالاستغاثة والتوكل والدعاء والسؤال
ثم هذا لا يكفيها حتى تعلم ما يصلحها من العلم والعمل وذلك هو عبادته
والانابة اليه فان العبد انما خلق لعبادة ربه فصلاحه وكماله ولذته
وفرحه وسروره في ان يعبد ربه وينيب اليه وذلك قدر زايد على
مسئلته والاستعانة اليه فان جميع الكائنات حادثة بمشيئته ماضية
بقدرته وكلمة صحابة اليه مسلمة له طوعا وكرها فاذا شهد
العبد ذلك وسلم له وخضع فقد اخذ بربقة عبوديته ورق له حاجة وفقره
اليه وصار سائلا له متوكلا عليه مستعينا به اياه بحوله واياه بقوته بخلاف
المستكبر عن العرض عن مسئلته ثم هذا المستعان به السائل له اما ان
يقال انه هو المأمور به او ما هو منهى عنه او ما هو مباح له فالاول حال
المحققين السعداء الذين حالهم اياك نعبد واياك نستعين وحال الكفار والثاني
والعصاة والعصاة الذين فيهم ايمان به وان كانوا كفارا كما قال وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون فهو منهى عنه بربقة عبوديته مشركون في عبادته
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين الخزاعي يا حصين كم تعبد قال سبعة
آلهة ستة في الارض وواحدة في السماء قال فاسلم حتى اعلمك كلمات ينفعك
الله بها فاسلم فقال اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي رواه الامام احمد
وغيره وهذا قال سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اخبر سبحانه
انه قريب من عباده يجيب دعوة الداع اذا دعاه فهذا اخبار عن
قربه منهم واعطائه لسؤالهم له وان كانوا مع ذلك كفارا من وجه

آخر وعصاقا او عصاة قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقال تعالى واذا
مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره
مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون فقط
وسنظاهره في القرآن كثيرة ثم امرهم بامرين فقال فليستجيبوا لي والليؤمنوا
بي لعلهم يرشدون فالاول انما يطيعونه فيما امرهم به من العبادة والاستعا
نة والثاني الايمان بربوبيته والوهيته وانربهم والههم وهذا
قبل اجابة الدعا يكون من صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة
ان عقب الدعا بقوله فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي والطاعة و
العبادة هي مصلحة للعبد التي فيها سعادته ونجاته سواء اجابه دعائه
واعطاه سؤله فقد يكون منفعة وقد يكون مضرة قال تعالى ويد
عو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وقال تعالى ولو
يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم وقال تعالى
عن المشركين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقال تعالى ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وقال تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى واتل عليهم نبأ
الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغا
وين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه الاية
وقال فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع
ابناءنا وابناءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله

على الكاذبين

على الكاذبين قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على اهل جابر
فقال لا الله عوا على انفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون

فصل فالعبد كما انه مفتقر الى الله دائما في اعانته واجابة
دعوته واعطاء سؤاله وقضاء حوائجه فهو مفتقر اليه في ان يعلمه
ما يصلحه ويلهمه اياه الذي يقصده ويريده وهذا هو الامر والنهي
والشريعة والا فاذا قضينا حاجته الى طلبها وارادها ولم يكن
مصلحة له كان ذلك ضررا عليه وان كان يحال له فيه لذة ومنفعة
فالاعتبار بالمنفعة الحاصلة او الراجحة وهذا مقدر عرف الله
عباده برسله وكتبه علومهم وزكوهم وامرهم بما ينفعهم ونهوهم
عما يضرهم وبين لهم ان مطلوبهم ومقصودهم ومعبودهم يجب ان
يكون هو الله وحده لا شريك له كما انه هو ربهم وخالقهم وانهم ان اشركوا
عبادته او اشركوا به غيره حضر واحضرنا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا
وكان لهم اولا وآخرا مذمومة ومعرفة وحال وعمل وغير ذلك وان كانوا
مع ذلك فقراء الى الله مستعينين به عليه معرفين بربوبيته فاقر ضرر
عليهم ولهم بيّن لهم مصيرهم وسوء الدار وهذا هو الذي تعلق به الامر الديني
الشرعي والارادة الدينية الشرعية كما تعلق بالاول الامر
الكوني القدري والارادة الكونية القدرية والله سبحانه قد امتن
على المؤمنين بالاعانة والهداية فانه بين لهم هداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب واعانهم على اتباع ذلك علما وعملا كما من عليهم و
على سائر الخلق بما خلقهم ورزقهم وعافاهم ومن على اكثر الخلق

بان عرفهم ربهم بنفسه لهم وحاجتهم اليه واعطاهم سؤالهم واجاب دعاءهم
قال تعالى يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فكل
اهل السموات والارض فقراء الى الله تعالى وهو غني عنهم فقوم لم يعبدوه
ولم يستعينوه وقد خلقهم ورزقهم وعافاهم وقوم استعانوه
فاعانهم ولم يعبدوه وقوم طلبوا عبادته وطاعته
ولم يستعينوه ولم يتوكلوا عليه والصنف الرابع عبدوه و
استعانوه واعانهم على عبادته وطاعته وهؤلاء هم الذين
امنوا وعملوا الصالحات فقد بين سبحانه ما خص به اهل هذه المنازل
من قوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون

وقف لا يباع ولا يشترى وقف عبد الله

آخرها عدة النوحيد والاخلاص والحمد لله اولا وآخرا الخ يحيى
وحده والصلاة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى
آله وصحبه اجمعين
تم الكتاب بعون الله تعالى

لكعب بن زهير رضي الله عنه

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

سئل الشيخ

وقف وقف

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ تقي الدين ابو العباس احمد بن تيمية عن ما يجوز
وما لا يجوز من الاستشفاع والتوسل بالانبياء وكلما
لحي

الجواب: الحمد لله رب العالمين اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله
عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيمة بعد ان يسأله الناس دلك وبعد
ان يثنا فقد الله له والشفاعة على اقسام اهل السنة والجماعة متفقون
على ما يتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وسنة ثابتة
به السنن من قوله صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكبائر من امته
ويشفع ايضا لعموم الخلق فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها
لا يشركه فيها احد وشفاعات يشركه فيها غيره من الانبياء والصا
لحين لكن ما له منها افضل مما لغيره فله صلى الله عليه وسلم افضل
الخلق واكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضايل التي بينه الله
بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه ومن ذلك
المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون واحاديث الشفا
عة كثيرة معروفة منها في الصحيحين احاديث متعددة وفي السنن
والمسانيد ما يكثر عدده وامر الوعيدية منكرو الحوض والشفاعة
فمن عمم ذلك الشفاعة انما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات
وبعضهم انكر شفاعته مطلقا وجعلوا ان الصحابة كانوا يستشفعون
به في حياته كما ثبت في صحيح البخاري عن انس بن
مالك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس

ديوان الشيخ عثمان بن سند الوائلي
في الرد على الرافضي ذيل الجميع
مستفتى اعيان الصحابة
فتح الله
٤٧

لعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا
سقنا فتسقينا وانى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ربما ذكرت قول
الشاعر وانا انظر الى وجه ابى صلى الله عليه وسلم ::: وينتسقى غمائم لا حما
يحش له ::: هيرابى وابيض يستسقى الغمام بوجهه ::: ربيع اليتامى عصمة
للارامل ::: والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الذى ذكره عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قد جاء مفسرا فى سائر الاحاديث الاستسقاء هو من
جنس الاستشفاع به وهو ان يطلب منه الدعاء والشفاعة فى
مطلوب مقاصده ان يتقبل دعاءه وشفاعته فينا فنختلف به
بعد موته بل يذهب احدنا الى قبره ويسأله بما والنبى صلى الله عليه وسلم
وكذلك معاوية بن ابى سفيان لما احدبوا الناس بالشام استسقى يزيد
بن الاسود الجرشى وقال اللهم انا نستشفع اليك بخيارنا
بخيارنا يزيد ارفع يديك فرفع يديه ودعا والناس
حتى سقوا وهذا قال العلماء يستحب ان يستسقى باهل الدين
والصلاح فاذا كانوا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو احسن وهذا الاستشفاع والتوسل حقيقته التو
سل بدعائه فانه كان يدعو والمتوسل به المستشفع به ويدعو
الناس معه كما فى الصحيحين لما احدبوا على عهد النبى صلى الله عليه
وسلم دخل عليه اعرابى فقال يا رسول الله هلكت الاموال
وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع النبى صلى الله عليه وسلم

يديه فقال

يديه فقال اللهم اغثنا اللهم اغثنا وما في السماء قزعة فنشأت
سحابة من جهة البحر فامطرت واسبوعا لا يرون فيها شمسا حتى دخل على
ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله انقطعت السبل وهدم
البنيان فادع الله ان يكشفها عنا فرفع يديه وقال اللهم حوالينا
ولا علينا اللهم على الآكام والضراب ومنابت الشجر وبطون الاودية
فانجابت عن المدينة كما انجاب الثوب والحديث مشهور في الصحاحين
وغيرهما وفي حديث آخر في سنن ابي داود وغيره ان رجلا قال له
انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه وقال ويحك اتدري
ما الله ان الله لا يستشفع به على احد من خلقه شان الله اعظم
من ذلك وهذا مما بين ان معنى الاستشفاع بالشخص في كلام ابي
صلى الله عليه وسلم واصحابه هو الاستشفاع بدعائه وشفاعته ليس هو
السؤال بذاته فانه لو كان السؤال بذاته لكان السؤال بالخلق
بالله هو ايضا سؤال الله بالخلق ولكن لما كان معناه هو الاول
انكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله انا نستشفع بالله عليك ولم ينكر عليه
قوله نستشفع بك على الله لان الشفيع يسأل المشفوع اليه
ان يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل احد من عباده
ان يقضي حوائج خلقه وان كان بعض الشعراء ذكر الاستشفاع
بالله مثل قوله ٭٭ شفيعي اليك الله لا بي وعمتي ٭٭ وليس الى دار الشفيع
سبيل ٭٭ وكذلك بعض الاحاديث ذكر فيه استشفع بالله الى النبي صلى الله
عليه وسلم وكلاهما خطأ وضلال بل هو سبحانه المسؤول المدعو الذي

يسأله كل من في السموات والارض وكل هو متبارك وتعالى يأمر عباده فيعطونه
وكل من وجبت طاعته من المخلوقين فانما وجبت لان ذلك طاعة لله تعالى
قال رسل يبلغون عن الله امته فمن اطاعهم فقد اطاع الله ومن با
يعهم فقد بايع الله قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله وقال تعالى من يطع الله والرسول فقد اطاع الله وامروا اولوا الامر من اهل
العلم واهل الامارة انما يجب طاعتهم اذا امروا بطاعة الله ورسوله
قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح على المرء المسلم السمع
والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه مالم يؤمر بمعصية الله
فاذا امر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة وقال صلى الله عليه وسلم لا طا
عة لمخلوق في معصية الخالق واما الشافع فمسائل لا يجب طاعة
في الشفاعة وان كان عظيما وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم سال بريرة ان يمسك زوجها وان تفارقه لما عتقت وخيرها
النبي صلى الله عليه وسلم فاختارت فراقه وكان زوجها يحبها فجعل يبكي
فمشى بها النبي صلى الله عليه وسلم ان يمسكه فقالت اتامرني فقال لا انما انا
شافع وانما قالت انا مرني وقال انما انا شافع لما استقر عند
المسلمين ان طاعة امته واجبة بخلاف شفاعته فانه لا يجب قبول
شفاعته وهذا لم يلها النبي صلى الله عليه وسلم على تركه قبول شفاعته
فشفاعته غيره من الخلق اولى ان لا يجب قبولها والخالق جل جلاله
امره اعلى واجل من ان يكون شافعا الى مخلوق بل هو سبحانه
اعلى شانا من ان يشفع احد عنده الا باذنه قال تعالى وقالوا اتخذ

الرحمن

الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من
خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك
نجزى الظالمين ودل الحديث المتقدم على ان الرسول صلى الله عليه وسلم
يستشفع به الى الله عز وجل اى يطلب منه الشفاعة فى الدنيا
والآخرة فاما فى الآخرة فتطلب الخلق منه الشفاعة فى ان يقضى الله
تعالى بينهم وفى ان يدخل الجنة ويشفع لاهل الكبائر من امته ليشفع فى
بعضهم ممن استحق النار ان لا يدخلها ويشفع فى بعضهم ممن دخلها
ان لا يخرج منها ولا نزاع بين جماهير الامة فى انه يجوز ان يشفع لاهل
الطاعة المستحقين للثواب ولكن نازع كثير من اهل البدع من
الخوارج والمعتزلة فى شفاعته لاهل الكبائر فقالوا لا يشفع لاهل
الكبائر مبناه على ان اهل الكبائر عندهم لا يعفى عنهم ولا يخرج
من النار وبعد ان يدخلوها لا تنفعهم شفاعة ولا غيرها وهذا مذهب
الصحابة والتابعين وائمة المسلمين وسائر اهل السنة والجماعة
انه صلى الله عليه وسلم يشفع فى اهل الكبائر وانه لا يخلد فى النار من
اهل الايمان احد بل يخرج من النار من فى قلبه مثقال حبة من
الايمان او مثقال ذرة من ايمان لكن هذا الاستسقاء والاستشفاع
والتوسل به او بغيره كالعباس بن عبد المطلب وغيره كما كانوا يفعلون
فى حياته يعنى انهم يطلبون منه الدعاء ليس الاقسام به والسؤال بذاته
بل يعنى انهم يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم فكانوا يتوسلون بدعائه

والاستشفاع به طلب شفاعته والشفاعة دعاء فما التوسل بذاته
في حضوره او مغيبه او بعرصته مثل الاقسام به او بغيره من
الانبياء والسؤال بنفس ذواتهم لا يدعا يجيء فليس هذا
مشهورا عن الصحابة والتابعين لا عمر بن الخطاب ومعاوية بن
ابي سفيان ومن بحضرتهما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
والتابعين لهم باحسان لما اجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا
بمن كان كالعباس وكيزيد بن الاسود الجرشي ولم يتوسلوا ولم
يستشفعوا ولم يستسقوا بهذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند
قبره ولا عند غير قبره بل لم يقسموا بمخلوق على الله ولا سألوا الله
بمخلوق لا نبي ولا غيره بل عدلوا الى البدل كالعباس وكيزيد
كانوا يفعلون عليه في دعائهم وقد روي عن عمر وعلي ان الدعاء
موقوف بين السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد قال عمر رضي الله عنه اللهم انا كنا نتوسل اليك
بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فجعل هذا
بدلا عن ذاك لما تعذر ان يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي
كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره فيتوسلوا
هناك او يقولوا قد دعوا بالصحراء نحو ذلك من الالفاظ التي
تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل والسؤال به فيقولون
بنبيك او بجاه نبيك او بحق نبيك ونحو ذلك
مما يفعله بعض الناس وقد نهى عن بعض الجهال عن النبي صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم فاسئلوه بجاهي فان جاهي عند الله
عظيم وهذا الحديث كذب ليس هو شيء من كتب المسلمين التي يعتمد
عليها اهل الحديث ولا ذكره احد من اهل العلم بالحديث مع ان
جاهه عند الله تعالى اعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين
وقد اخبر سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله
فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال تعالى اذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه عيسى ابن مريم وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين فاذا كان موسى وعيسى
وجيهين عند الله فكيف بسيد ولد آدم صاحب المقام المحمود
الذي يغبطه به الاولون والاخرون وصاحب الكوثر والحوض
المورود الذي انيته عدد نجوم السماء وماؤه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها
ابدا وهو صاحب الشفاعة يوم القيمة حين يتأخر عنها آدم
واولو العزم نوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله
عليهم اجمعين ويتقدم هو اليها وهو صاحب اللواء الحمود آدم
ومن دونه تحت لواءه وهو سيد ولد آدم واكرم الخلق على ربه
عز وجل وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا
وصاحب الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله ولكن جاه المخلوق

عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع
عنده احد الا باذنه ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وقال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما
الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا
يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا والمخلوق يشفع عند
المخلوق بغير اذنه فهو شريك له في خصوص الملك والله تعالى
لا شريك له كما قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك
وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقد
استفاضت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن اتخاذ
القبور مساجد ولعن من فعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عيدا
وذلك لان اول ما حدث الشرك في بني ادم كان في قوم نوح
كما قال ابن عباس كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم
على الاسلام وثبت في الصحيحين عن ابي صلى الله عليه وسلم انه
قضى اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وقد قال تعالى عن
قومهم انهم قالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا

ولا يغوث

ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا قال غير واحد
من السلف هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا
على قبورهم فلما طال عليهم الامد عبدوهم وقد ذكر البخاري
في صحيحه هذا عن ابن عباس وذكر ان هذه الالهة صارت
الى العرب وسمى قبائل العرب الذين كانت تعبد هذه الاصنام فلما
علم الصحابة رضوان الله عليهم ان النبي صلى الله عليه وسلم حسم
مادة الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وان كانت المصلى
يصلى لله عز وجل كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس
لئلا يتشابه المصلي للشمس وان كان المصلى انما يصلي لله تعالى
وكان الذي يقصد الدعاء بالميت او عند قبره اقرب الى الشرك من
الذي يقصد الا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك
وكذلك علم الصحابة ان التوسل به انما هو التوسل بما يجب
الايمان به وطاعته ومحبته وهو الاله والتوسل به
غايته وشفاعته فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا
وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا من ذلك دعوى
بمثل هذه الادعية وهم اعلم منا واعلم بما امر به ورسوله
من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة منا بل توسلوا بالعباس
وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم دل عدولهم عن التوسل
بالاعلى فضلهم لم يكن ممكنا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد

رواه مالك في موطاه ورواه غيره وفي سنن ابي داود عن ابي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني
وفي الصحيحين انه قال لما مرض مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز
قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وفي صحيح مسلم عن جندب ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال قبل ان يموت بخمس اني ابرأ الى الله ان يكون لي منكم خليلا ولو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا انه من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا
تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن ذلك وفي الصحيح عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وروى الترمذي حديثا صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
علم رجلا ان يدعو فيقول اللهم اني اسالك واتوسل اليك بنبيك محمد صلى
الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله اني اتوسل بك الى ربي في حاجتي
هذه لتقضى اللهم فشفعه في وروى النسائي نحو هذا الدعاء وفي
الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال ان شئت دعوت الله وان شئت
صبرت فهو خير لك فقال فادعه فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد
نبي الرحمة يا رسول الله يا محمد اني توجهت بك الى ربي في حاجتي
هذه لتقضى اللهم فشفعه في قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

ورواه النسائي

ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه ان رجلا اعمى قال يا نبي الله
ادع الله ان يكشف لي بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل
اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه
بك الى ربي يكشف عن بصري اللهم فشفعه فيّ قال الترمذي وقد كشف الله
عن بصره وقال الامام احمد في مسنده نا وكيع نا شعبة عن عمر
بن يزيد الحظمي المدني قال سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن
عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
ادع الله ان يعافيني فقال ان شئت اخرت ذلك فهو افضل لاخرتك
وان شئت دعوت له قال بل ادع الله لي فامره ان يتوضأ وان يصلي ركعتين
وان يدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة
وان يدعو بهذا الدعاء يا محمد اني اتوجه بك في حاجتي هذه فتقضى لي اللهم وشفعني فيه وشفعه
قال فجعل الرجل فبرأ فهذا الدعا فيه التوسل به الى الله في الدعا فمن
الناس من يقول تقتضي جواز التوسل بذاته مطلقا حيا وميتا وهذا يحتج
به من يتوسل بذاته بعد موته وفي بعضه وبظن ان توسل الاعمى والصحابة
في حياته كان بمعنى الاقسام به على الله عز وجل او بمعنى انهم يسالون الله
بذاته ان يقضي حوائجهم ويظنون ان المتوسل به لا يحتاج الى ان يدعو
هو لهم ولا الى ان يطيعوه فتسوا عند هؤلاء دعاء الرسول لهم او ما يدع
لهم الجميع عندهم توسل به وسؤال الطعوه او لم يطيعوه ويظنون ان الله يقضي
حاجة هذا الذي يتوسل به بزعمهم وان لم يدع له الرسول صلى الله عليه
وسلم كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه ودعا له الرسول وكلا الامرين
متوسل به عندهم ويظنون ان كل من سال الله بالنبي صلى الله عليه وسلم

فقد توسل به كما توسل به ذلك الاعمى وانما امر به الاعمى مشروع لهم
وقول هؤلاء باطل شرعا وقدرا فعلاهم موافقون لشرع الله ولله
ما يقولونه مطابق لخلقه الله ومن الناس من يقول هذه قضية عين فيثبت
الحكم فيما شابهها الى شبهها فيما ناط الحكم لا يثبت فيما فيه هو مخالفها
لانه مماثلها والفرق ثابت شرعا وقدرا بين من دعا له النبي صلى الله
عليه وسلم وبين من لم يدع له فلا
يجوز ان يجعل احدهما كالاخر وهذا الاعمى شفع له النبي
صلى الله عليه وسلم ولهذا قال في دعائه اللهم شفعه في فعلم انه شفع فيه
ولفظ ان شئت صبرت وان شئت دعوت لك فقال ادع فعلم انه دعا له
يفيد ذلك قوله في احد الروايات فشفعه في وشفعني فيه اي فشفعه
في قبول دعائي وشفعني في قبول دعائه لي وذلك مثل التماس من النبي صلى الله عليه وسلم دعا
الرسول والشفاعة الاعانة الطالب فهو طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان
يدعو له فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي ويدعو هو ايضا لنفسه
ويقول في دعائه اللهم فشفعه في فدل ذلك على ان معنى قوله اسالك
واتوجه اليك بنبيك محمد اي بدعائه وشفاعته كما قال عمر اللهم انا كنا
اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا فالحديثان معناهما واحد فهذا
الحديث فيه انه علم رجلا ان يتوسل به في حياته كما في ذكر عمر انهم كانوا
يتوسلون بعمه بعد موته فلو كان التوسل به حيا وميتا سواء والمتوسل به
البين دعا له الرسول لكن لم يدع له الرسول لم يعدل عن التوسل به وهو
افضل الخلق واكرمهم على ربه واقربهم اليه وسيلة الى ان يتوسل بغيره
ممن ليس مثله وكذلك لو كان كل اعمى يتوسل به وان لم يدع له الرسول

بمنزلة

بمنزلة ذلك الاعمى لكان عمر ان الصحابة او بعضهم يفعلون مثل ما فعل الاعمى
فعدولهم عن ذلك مع قصدهم الى هذا مع انهم السابقون الاولون المهاجرون والانصار والذين اتبعوهم باحسان واعلم ان ما امر الله تعالى ورسوله وبحقوق السؤال وله
وما شرع من الدعاء ينفع وبالاستشفاع ولا ينفع وما يكون انفع من غيره وهم في
وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون منه تفريج الكربات وتيسير العسير وانزال
الغيث بكل طريق يمكن دليلا على ان المشروع ما سلكوه دون ما تركوه ولهذا
ذكر الفقهاء في كتب الحج في الاستسقاء ما فعلوه وما تركوه وذلك انه انما يتوسل به
حيا هو طلب الدعاء وشفاعته وهو من جنس مسألته ان يدعو لهم وهذا
مشروع فما زال الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ان
يدعو لهم وما بعد موته فلم يكن الصحابة يطلبون منه الدعاء ولا غيره لا عند
قبره ولا عند غير قبره كما يفعله كثير من الناس عند قبور الصالحين يسألونهم
الميت حاجته او يقسم على الله به ونحو ذلك وان كان قد روي في ذلك
حكايات عن بعض المتأخرين بل طلب الدعاء مشروع لكل مؤمن من كل مؤمن
حي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر لما استأذنه في العمرة لا تنسنا يا اخي
في دعائك انا صح الحديث وفي امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يطلب من اويس
العرني ان يستغفر للطالب وان كان الطالب افضل من اويس بكثير وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا
الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وانا
ارجو ان اكون انا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي
يوم القيمة مع ان طلبه من امته الدعاء ليس هو طلب حاجة من المخلوق بل
هو طلب تعليم امته ما ينتفعون به في دينهم وسبب ذلك التعليم والعمل
بما علمهم يعظم الله اجره فانا اذا صلينا عليه مرة صلى الله علينا عشرا

واذا سألنا الله له الوسيلة حلت علينا شفاعته يوم القيمة وكل ثواب يحصل
لنا على اعمالنا فله مثل اجر نا من غير ان ينقص من اجرنا شيئ فانه صلى الله عليه وسلم
قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه من غير ان ينقص
ذلك من اجورهم شيأ وهو الذي دعا امته الى كل خير فكل خير تعمله امتي له مثل
اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيأ وهذا لم يكن الصحابة والسلف
يهدون اليه ثواب اعمالهم ولا يخصونه عنه ولا يتصدقون عنه ولا يهدون القرآن
ويهدون له لان كل ما يعمله المسلمون من صلاة وصيام وحج وصدقة
وتلاوة له صلى الله عليه وسلم مثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيأ
بخلاف الوالدين فليس كل ما عمله المسلم من الخير يكون لوالديه مثل اجره
ولهذا يهدي الثواب لوالديه وغيرهما وبهذا يعرف ان الرسول صلى الله عليه وسلم
مطيع لربه يقال في قوله فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فهو لا يرغب
الى غير الله تعالى وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال يدخل من امتي الجنة سبعون
الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم
يتوكلون فهو لاء من امته وقد مدح بانهم لا يسترقون والاسترقاء ان يطلب
من غيره ان يرقيه والرقية نوع من الدعاء وكان صلى الله عليه وسلم يرقي
نفسه وغيره ولا يطلب من احد ان يرقيه وفي رواية من رقى وهذا الحديث
لا يرقون ضعيفه غلط فهذا مما يبنى حقيقة امره بالدعاء له
انه ليس من باب سؤال المخلوق للمخلوق الذي غيره افضل منه فان من لا
يسأل الناس شيأ بل لا يسأل الا الله افضل ممن يسأل الناس ومحمد سيد
ولد آدم ودعاء الغائب للغائب اعظم اجابة من دعاء الحاضر لانه
اكمل اخلاصا وابعد عن الشرك فكيف يشبه دعاء من يدعو لغيره بل اسوأ حالا
منه الذي دعا من يدعو له ويسأله وهو حاضر وفي الحديث اعظم الدعاء

اجابة دعاء

اجابة دعاء غايب لغايب وفي صحيح مسلم عن ابي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل
يدعو لاخيه بظهر الغيب الا وكل الله به ملك كلما دعا لاخيه بدعوة قال الملك
الموكل امين ولك بمثل ثم على وجه الحاجة والثاني ان يطلب منه الدعاء
عا شفع الداعي بدعائه له وينتفع هو فينتفع الله هذا وهذا بذلك الدعاء
ولنعلم الدعاء الذي ينتفعا به وينتفعه فهذا حال بيننا صلى الله عليه وسلم
فهل يجوز الدعاء من امته وذلك ان المخلوق يطلب من المخلوق ما يقدر عليه
والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته فلهذا كان طلب الدعا جائزا
كما يطلب منه الاعانة بما يقدر عليه والافعال التي يقدر عليها فاما ما لا يقدر
عليه الا الله تعالى فلا يجوز ان يطلب ذلك لا من الملائكة ولا من الانبياء ولا
صنعتهم ولا يجوز ان يقال لغير الله تعالى اغفر لي واسقنا الغيث وانصرنا
على القوم الكافرين او اهد قلوبنا ونحو ذلك ومن هذا ما رواه الطبراني
من حديث الكبير انه كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين
فقال الصديق قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من
هذا المنافق فجاؤا اليه فقال انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله وهذا
في الاستغاثة مثل ذلك فاما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب
وقد قال سبحانه اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وقد علمهم عليه
السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستغاث وعليك التكلان
ولا حول ولا قوة الا بك وقال ابو بكر الدينوري استغاثة المخلوق بالمخلوق
كاستغاثة الغريق بالغريق وقال ابو عبد الله القرشي استغاثة المخلوق با
لمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك

كان محزون قال لي بعض من السلف كان اقوام يدعون الملائكة والانبياء
فقال الله تعالى هؤلاء الذين تدعون هم عباد كما انتم عباد يرجون
رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون الي
كما تتقربون الي فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والانبياء مع اخباره لنا ان
الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس لنا ان نطلب ذلك منهم
وكذلك الانبياء والصالحون وان كانوا احياء الاحياء وان ورد به اثار
فليس لاحد ان يتطلق ذلك منهم ولم يفعل ذلك احد من السلف لان ذلك
ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله بخلاف الطلب من احدهم
في حياته فانه لا يفضي الى الشرك ولان ما يفعله الملائكة والانبياء و
الصالحون بعد الموت هو بالامر الكوني فلا يشرع فيه سؤال الاحياء
بخلاف سؤال احدهم في حياته فانه شرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع
التكليف عنهم وقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فنبي سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين
ارباباً فهو كافر وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من
ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقال تعالى ما من شفيع
الا من بعد اذنه وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض وقال تعالى عن
صاحب يس وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون اأتخذ من دونه

آلهة ان

الهة ان يردنى الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اى اذا
لفى ضلال مبين انى امنت بربكم فاسمعون فالشفاعة انواعا احدها
الشفاعة التى نفاها الله تعالى كالتى اثبتها المشركون والنصارى وغيرهم ضلا
هلم من جهال هذه الامة وضلالها وهى شرك والثانية ان
يشفع الشفيع باذن الله وهذه التى اثبتها الله لعباده الصالحين وهذا
كان سيد الشفعاء اذا طلب منه الشفاعة يوم القيمة يأتى ويسجد لله فا
يحمده بمحامد يفتحها عليه لا احصيها الان فيقال اى محمد ارفع رأسك
وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاذا اذن الله فى الشفاعة (الخلق ٣)
شفع قال اهل هذا القول واللازم من جواز التوسل به والاستشفاع
ع به بمعنى بطلب دعائه وشفاعته بمعنى ان يكون هو داعيا للمتوسل به
ان يشفع ذلك فى حقه وبعد موته مع انه هو لم يدع للمتوسل به بل للتو
سل اقسم به او سأل بذاته مع كون الصحابة عرفوا بنى الامرين وكذلك دل
الكتاب والسنة والمعقول على الوقوع بنى الامرين وذلك لان الله فى حياته يدعو
هو الله تعالى للمتوسل به ويدعو له هو الله افضل دعاء الخلق فهو
افضل الخلق واكرمهم على الله فدعاؤه لمن دعا له وشفاعته له افضل
دعاء مخلوق كائنا من كان هذا اجماع لم يدع له الرسول ولم يشفع له
ومن سوغ بنى من دعا له الرسول وبنى منه لم يدع له وجعل
هذا المتوسل هكذا فهو من اضل الناس وايضا فانه ليس فى طلب الدعا
منه والتوسل بدعائه شر بل هو خير بلا شر وليس فى ذلك محذور
ولا مفسدة فان احدا من الانبياء عليهم السلام لم يعبد فى حياته بخصوصه
فانهم ينهون عن ذلك وشركه ولو كان شركا اصغر كما هو فى نبى صلى الله عليه وسلم

من سجد له عن السجود له وكما قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا
ما شاء الله ثم شاء محمد ومثال ذلك وأما بعد صونه فيخاف الفتنة والاشراك
به كما اشرك بالمسيح والعزير وغيرهما عند صوابهم وغير صوابهم وهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فانما
عبد فقولوا عبد الله ورسوله اخرجاه في الصحيحين وقال اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وهذا كانت الصلاة في بيته وحياته مشروعة والصلاة
عند قبره تتضمن عكوف الصلاة عليه في المسجد جائزة وان لم يكن المصلي
مؤما به والصلاة الى قبره نهى عنها كما ثبت في الصحيح عن صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها والصلاة طلب الرحمة
والشفاعة فجعلها هو مشروع والاقسام على الله بالمخلوقات غير مشروع
فاتبين هذا من هذا فجملة الامر ان عظيمين احدهما ان لا نعبد الا الله
والثاني ان لا نعبده الا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان
الاصلان لتحقيق الشهادتين شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
كما قال ليبلوكم ايكم احسن عملا قال الفضيل بن عياض اخلصه واصوبه
قالوا يا ابا علي ما اخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن
صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا
صوابا والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة وذلك تحقيق
قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله
لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيئا وقال تعالى ام لهم شركاء شرعوا

لهم من

لهم من الدين ما لم يأذن به الله وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي لفظ
من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وفي الصحيح وغيره انه يقول الله تعالى
انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري فانا منه بريء وهو
كله للذي اشرك ولهذا قال الفضيل العباد ثلاثة صنف عبدوا الله خوفا فتلك عبادة
الصحيحين عن عمر رضي الله عنه انه قبل الحجر الاسود وقال والله اني لاعلم انك
حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
والله سبحانه امر باتباع الرسول وطاعته وهو الآله ويحبوا ان يكون
الله ورسوله احب اليهما سواهما وضمن لمن اطاعه وصحبته محبة الله
وكرامته فقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا وقال تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم وامثال
ذلك في القرآن كثير ولا ينبغي لاحد ان يخرج من هذا الباب عما مضت به
به السنة من عبادات بدا لشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه
سلف الامة وعلماؤها وما لم يعلم انه مشروع منه فلا يقولوا في الدين
له به علم ولا يقولوا على الله ما لم يعلم فان الله تعالى قد حرم ذلك كله وقد
جاء في الحديث الصحيح ذكر ما سأل الله به كقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض
يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم رواه ابو داود وغيره وفي لفظ
اللهم اني اسألك بانك انت الله الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه فهم الله تعالى
وقد اتفق العلماء على انه لا تنعقد اليمين بغير الله وهو الحلف

(قلاح)

بالمخلوقات فلو حلف بالكعبة او الملائكة او باحد من الشيوخ والملوك لم ينعقد
يمينه ولا يشرع له ذلك بل ينهى عنه اما نهي تحريم واما نهي تنزيه والصحيح
انه نهي تحريم ففي الصحيحين عن ابن صلى الله عليه وسلم انه قال من كان
حالفا فليحلف بالله او ليصمت وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من حلف بغير الله فقد اشرك ولم يقل احد من العلماء المتقدمين انه ينعقد
اليمين باحد من المخلوقين الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم فان عن احمد في
يمينين وانعقاد اليمين به وقد طرد بعض اصحابه كابن عقيل الخلاف في سائر
الانبياء وهذا ضعيف واصل القول بانعقاد اليمين بالنبي صلى الله عليه وسلم
ضعيف شاذ ولم يقل به احد من العلماء فيما نعلم والذي عليه الجمهور كمالك
والشافعي وابي حنيفة انه لا ينعقد اليمين به كما حكاه ابن عبد البر عن احمد
وهذا هو الصحيح وكذلك لا يستعاذ بالمخلوقات بل انما يستعاذ بالخالق
تعالى واسمائه وصفاته وهذا اجمع السلف كاحمد وغيره على ان كلام
الله غير مخلوق فيما اصح به بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بكلمات
الله التامات قالوا فقد استعاذ بها ولا يستعاذ بمخلوق وفي الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بالرقى ما لم يكن شركا فنهى عن الرقى
التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن كما قال تعالى وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وهذا كثير العلماء عن
التعاويذ والاقسام التي يستعملها بعض الناس حتى صار المصروع وغيره
الى تضمن الشرك بل هو اعم كل ما لا يعرف معناه من ذلك خشية ان
يكون فيه شرك بخلاف ما كان من الرقى المشروعة فانه جائز فاذا كان
لا يجوز الحلف ان يقسم لا مقسما مطلقا ولا مقسما على غيره الا بالله عز وجل

والله اعلم

ولا يستعين الا بالله عز وجل والسائل لله بغير الله ايمان يكون مقسما عليه وما
ان يكون طالبا بذلك السبب كما يتوسل النبي في الغار بما عملوه كما يتوسل
بدعاء ابي صلى الله عليه وسلم والصالحين فان كان اقسما على الله
بغير هذا لا يجوز وان كان سؤالا بسبب يقتضي المطلوب كالسؤال
كالسؤال بالاعمال التي فيها طاعة الله ورسوله مثل السؤال بالايمان
بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز وان كان نمجرد ذوات
الانبياء والصالحين فهذا غير مشروع وقد نهى عنه غير واحد من العلماء وقالوا
انه لا يجوز وفصل فيه بعضهم والاول ارجح كما تقدم وهو سؤال بسبب
لا يقتضي حصول المطلوب بخلاف من كان طالبا بالسبب المقتضي لحصول المطلوب
كالطلب منه سبحانه بدعاء الصالحين وبالاعمال الصالحة فهذا جائز لان
دعاء الصالحين سبب الى حصول المطلوب الذي ندعوه وكذلك الاعمال الصالحة
هي سبب لثواب الله لنا واذا توسلنا بدعائهم واعمالنا كنا متوسلين
اليه تعالى بوسيلة كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة هي الاعمال الصالحة وقال تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة واما اذا لم نتوسل اليه بدعائهم
ولا باعمالنا ولكن توسلنا بنفس ذواتهم لم يكن في نفس ذواتهم سبب يقتضي
اجابة دعائنا فكنا متوسلين بغير وسيلة وهذا لم يكن هذا متقولا
عن النبي صلى الله عليه وسلم نقل صحيحا ولا مشهورا عن السلف وقد نقل في
مسند المروذي عن احمد انه سئل عن السؤال بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهذا قد خرج على احد الروايتين عنه في جواز التوسع به واكره العلماء
على النهي عن الامرين ولان السؤال انما يكون عند الله تعالى الجاه العظيم كما قال تعالى
في حق موسى وعيسى عليهما السلام وقد تقدم ذكر ذلك لكن مالهم عند الله

تعالى من الجنائز والذبائح امر يعود نفعه الى الميت ونحن ننتفع من ذلك بابتاعنا
لهم وصحبتنا لهم فاذا توسلنا الى الله تعالى بايمانا بنبيه ومحبته وموالاته
واتباع سنته فهذا من اعظم الوسايل واما التوسل بنفس ذاته مع
عدم التوسل بالايمان به وطاعته فلا يجوز ان يكون وسيلة لنا فالمتوسل
بالمخلوق اذا لم يتوسل بالايمان منه المتوسل به ولا بايمانه فباى شئ يتوسل
والانسان اذا توسل الى غيره بوسيلة فاما ان يطلب منه الوسيلة للشفاعة
له عند ذلك مثل ان يقال لابي الرجل او صديقه او من يعزم عليه اشفع
له عنده وهذا جائز واما ان يقسم عليه والاقسام على الله تعالى بالمخلوق
فانه لا يجوز ولا يجوز الاقسام على المخلوق بمخلوق واما ان يسأل بسبب
يقتضي المطلوب كما قال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
وسياتي بيان ذلك فقد تبين ان الاقسام على الله سبحانه بغيره لا يجوز بل ولا
يجوز ان يقسم بمخلوق اصلا واما التوسل اليه بشفاعته اذا ذون له
والشفاعة فجائز والاعمى كان قد طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له
كما طلب الصحابة منه الاستسقاء وقد قال له انه توجه الى ربك بنبيك محمد نبي
الرحمة اي يدعو له وشفاعته وهذا تمام الحديث اللهم فشفعه في
فالذي في الحديث متفق على جوازه وليس هو مما نحن فيه وقد قال تعالى
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فقرأ حمزة الجر بالنصب
انما تساءلون بالله وحده لا بالرحم وتساءلكم بالله تعالى يتضمن اقسام
بعضهم على بعض بالله وتعاهدهم بالله وتعاقدهم بالله واما على قراءة
الخفض فقد قال طائفة من السلف هو قولهم اسالك بالله وبالرحم وهذا
اخبار عن سؤالهم بالرحم وقد يقال انه ليس بدليل على جوازه فان كان
دليلا على جوازه فمعنى قولك اسالك بالرحم ليس اقسما بالرحم والقسم

هنا لا يسوغ

هنا لا يسوغ لكن بسبب الرحم اى لان الرحم توجب لاصحابها بعضهم
على بعض حقوقا فيكون سؤاله بالرحم كسؤال الثلاثة لله تعالى
باعمالهم الصالحة وكسؤالنا بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعته
ومن هذا الباب ما روى عن امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه ان
ابنا اخيه عبد الله بن جعفر كانا اذا سأله يحق جعفر اعطاهما ولى هذا
من باب الاعتصام فان الاعتصام بغير جعفر اعظم بلهما باب حق الرحم
ان حق ابيه عبد الله انما وجب بسبب جعفر وحقه على على رضى الله
عنهما ومن هذا الباب الحديث الذى رواه ابن ماجه عن ابى سعيد رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من دعا الخارج الى الصلاة اللهم انى اسالك
بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا
ولا رياء ولا سمعة ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك اسالك
ان تعتقنى من النار وان تغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وهذا الحديث
فى اسناده عطية العوفى وهو ضعيف فان كان هذا الكلام ابى صلى الله عليه
وسلم فهو من هذا الباب لان جهاتى احدها ان اضافته السؤال لله تعالى بحق
السائلين وبحق الماشين فى طاعته وحق السائلين ان يجيبهم وحق
الماشين ان يثيبهم وهذا حق اوجبه هو سبحانه على نفسه وليس للمخلوق
ان يوجب على الخالق تعالى شيئا ومنه قوله تعالى كتب ربكم
على نفسه الرحمة وقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله
تعالى وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومنها فى بعهده
من الله وفى الصحيح من حديث معاذ حق الله على عباده ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ان لا
يعذبهم وفى الصحيح عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك

وتعالى انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا
فاذا كان حق السائلين والعابدين له هو الاجابة والاثابة فذاك
سؤال له بما تعالى له كالاستعاذة بحق ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ
برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فالاستعاذة بمعافاته التي هي فعله
كالسؤال بما تابه التي هي فعله الوجه ان الله تعالى وتعالى والعمل
له سبب لحصول مقصود العبد فهو كالتوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم
والصالحين من امته وتقدم ان الدعاء بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالح
اما ان يكون اقسما به او تسببا به فان كان قوله بحق السائلين عليك
اقسمت فلا يقسم على الله الا به وان كان تسببا فهو سبب بما جعله هو سبحانه
سببا فهو سبب بما جعله هو سبحانه سببا وهو دعاؤه وعبادته فهذا
كله يشبه بعضه بعضا وليس في شيء من ذلك دعاء المخلوق بمخلوق بما غير
دعاء منه ولا عمل صالحا منا واذا قال القائل اسالك بحق الملائكة
وحق الانبياء والصالحين فان كان يقسم بذلك فلا يجوز ان يقول
وحق الملائكة وحق الانبياء وحق السائلين ولا يقول لغيره اقسمت
عليك بحق هؤلاء فاذا لم يجز له ان يحلف به ولا يقسم على مخلوق به فكيف
يقسم على الخالق به وان كان لا يقسم به وانما يتسبب به فليس لمجرد
ذوات هؤلاء سبب يوجب تحصيل مقصوده لكن لا بد من سبب منه كالايمان
بالملائكة والانبياء ومنهم كدعائهم ولكن كثير من الناس يقولون
ذلك كما يقولون الحلف بهم حتى يقول احدهم وحقك علي الله وحق هذه
البنية على الله واذا قال القائل مراده اسالك بحق فلان او بجاهه
او اسالك به اي اسالك بايماني به ومحبتي له وهذا من اعظم الوسايل

سبل

قيل من قصد هذا المعنى فهو معنى صحيح لكن ليس هذا مقصود علماء هؤلاء
من سلك مسالك بابائه بل سبيل سولك وبحو ذلك واوليائه بمن سولك
ومحبي له وبحو ذلك وقد احسن في ذلك كما قال تعالى في دعاء للؤ
منين ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فا
غفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار وقال تعالى الذين
يقولون ربنا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقال تعالى
ولانت خير الراحمين وقال تعالى عن الحواريين ربنا امنا بما انزلت
الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اللهم
امرتني فاطعتك ودعوتني فاجبتك وهذا السحر فاغفر لي ومن
هذا الباب حديث الثلاثة الذين اصابهم المطر فاووا الى الغار
فانطبقت عليهم الصخرة ثم دعوا الله سبحانه باعمالهم الصالحة ففرج عنهم
وهو ثابت في الصحيحين من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينما ثلاثة نفر يمشون اخذهم المطر فاووا الى غار في الجبل فانحطت
على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا
اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم فقال احدهم
اللهم انه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأة لي وصبية صغار ارعى
عليهم فاذا رحت عليهم حلبت فبدأت بوالداي فسقيتهما قبل بني
وانه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى امسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت
كما كنت احلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما اكره ان اوقظهما
من نومهما واكره ان اسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون
عند قدمي فلم يزل ذلك دابي ودابهم حتى طلع الفجر فان كنت تعلم
اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج لنا منها فرجة نرى منها السماء

وقال الآخر اللهم انه كانت لى ابنة عم احببتها كاشد ما يحب الرجال
النساء فطلبت اليها نفسها فابت حتى اتيتها بمائة دينار فجئتها بها فلما
وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه
فقمت عنها وهى احب الناس الى فتركت الذهب الذى اعطيتها فان
كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج
لهم وقال الآخر اللهم انى كنت استأجر اجيرا بفرق ارز فلما
قضى عمله مالا اعطى حقه فعرضت عليه وزهده فرغب عنه فلم
ازل ازرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاؤها فجاءنى فقال اتق الله
ولا تظلمنى حقى فقلت اذهب الى تلك البقر ورعاتها فخذها فقال
اتق الله ولا تستهزئ بى فقلت انى لا استهزئ بك خذ تلك البقر
ورعاتها فاخذه فذهب به فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغاء
وجهك ففرج ما بقى ففرج الله ما بقى وخرجوا يمشون وقال
قتادة لبعضهم لبعض انه والله ما هؤلاء ما بقى ليجعلكم الا الصدق فليدع
كل رجل منكم بما يعلم انه قد صدق فيه وقال ابو بكر بن ابى الدنيا
حدثنا خالد بن حداش بن الحجاج واسمعيل وابراهيم قالوا حدثنا صالح عن
ثابت عن انس قال دخلنا على رجل من الانصار وهو مريض نعوده
فلم نبرح حتى قبض فبسطنا على ثوبه وقام عجوز كبيرة عند راسه
فالتفت اليها بعضنا وقال لها يا هذه احتسبى مصيبتك عند الله
قالت وما ذاك مات ابنى قلنا نعم قالت احق ما تقولون قلنا نعم فمدت
يديها الى الله فقالت اللهم انك تعلم انى اسلمت وهاجرت الى رسولك
رجاء ان تغيثنى عند كل شدة ورجاء فلا تحمل على هذه المصيبة
اليوم قال فكشفت الثوب عن وجهه فما برحنا حتى طعمنا معه

روى في كتاب الحلية لابي نعيم ان داود قال يا رب بحق ابائي ابراهيم واسحق
ويعقوب فما وحى الله تعالى اليه يا داود وما حق لابائك علي وهذا
وان لم يكن من الادلة الشرعية فما لاسرائيل ان يعتمد بها ولا يعتمد
عليها وقد مضت السنة ان الحي يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر
عليه والمخلوق في الغائب والميت فلا يطلب منه شيء يتحقق هذا الامر
ان التوسل به والتوجه لغط فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح
فمعناه في لغة الصحابة ان يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون متوسلا بدعائه
وشفاعته ودعائه وشفاعته صلى الله عليه وسلم
من اعظم الوسائل عند الله عز وجل واما في لغة كثير من الناس
فمعناه ان يسأل الله تعالى بذلك ويقسم عليه بذلك والله تعالى لا يقسم
على الله بشيء من خلقه بل لا يقسم بها بحال فلا يقال اقسمت عليك يا رب
بملائكتك ولا بكعبتك ولا بعبادك الصالحين كما لا يجوز ان يقسم الرجل
بهذه الاشياء بل انما يقسم بالله تعالى باسمائه وصفاته وهذا كما
السنة ان يسأل الله تعالى باسمائه وصفاته فيقال اسالك بان لك الحمد
لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي
يا قيوم واسالك بانك انت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وكذلك قوله اللهم اني اسالك بمعاقد
العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك
الاعلى وكلماتك التامة مع ان هذا الدعاء الذي جوز الدعاء
قول ابن العلاء قال الشيخ ابو الحسين القدوري في كتابه المسمى بشرح الكرخي
قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة رضي الله عنه

لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك
او بحق خلقك وهو قول ابي يوسف قال ابو يوسف بمعقد العز من عرشه
هو الله فلا اكره هذا واكره ان يقول بحق انبيائك ورسلك
وبحق البيت والمشعر الحرام قال العتابي وفي هذه المسألة بخلقه لا يجوز
لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا يجوز يعني وفاقا وقال الكرخي في شرح
المختار له ويكره ان يدعو الله الا به فلا يقول اسالك بفلان او
بملائكتك او بانبيائك ونحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق
او يقول في دعائه اسالك بمعقد العز من عرشك وعن ابي يوسف
يجوز [illegible] وهذا من ابي حنيفة وابي يوسف وغيرهم يقتضي المنع
ان يسأل الله تعالى بغيره فان قيل الرب سبحانه وتعالى
يقسم بما شاء من مخلوقاته ولنا ان نقسم عليه الا باذنه فهلا
قيل يجوز ان يقسم عليه بمخلوقاته وان لم يقسم على مخلوق الا بالحق
لق تعالى قيل لان اقسامه سبحانه بمخلوقاته من باب
مدحه والثناء عليه وذكر اياته واقسامنا نحن بذلك من باب
منا وهو شرك اذا اقسمنا به لحض غيرنا او لمنعه او لتصديق خبر
او لتكذيبه ومن قال لغيره اسالك بكذا فله ان يكون هو مقسما فهذا
لا يجوز بغير الله والكفارة في هذا على المقسم لا على المقسم عليه
كما سرح بذلك ائمة الفقهاء وان لم يكن مقسما فهو من باب
السؤال به وهذا لا كفارة فيه على واحد منهما فتبين ان السائل
لله يخلقه اما ان يكون سائلا به او سائلا بخلقه وذلك لا يجوز واما ان يكون
سائلا به وقد تقدم تفصيل ذلك فاذا قال بالله افعل كذا فلا
كفارة فيه على احد منهما واذا قال اقسمت عليك بالله لتفعلن

مطلب

او والله

او واحده لا تفعلن فلم يبر قسمه لزمته الكفارة للحالف والداعي يسوغ
بصيغة السؤال فهو من باب السؤال به وانما اذا اقسم على الله
تعالى مثل ان يقول اقسمت عليك يا رب لتفعلن كذا كما كان يفعل
البراء بن مالك وغيره من السلف وقد ثبت في الصحيح عن انس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لو اقسم على
الله لابره وفي الصحيح انه قال لما قال انس بن النضر والذي
بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع فقال ابي صلى الله عليه وسلم يا انس
كتاب القصاص فعفا القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من عباد
الله من لو اقسم على الله لابره وهذا من باب الحلف بالله ليفعلن
هذا الامر فهو اقسام عليه تعالى به ليس امرا على المخلوق وينبغي
للمخلق ان يدعو بالادعية الشرعية التي جاء بها الكتاب والسنة
فان ذلك لان يرجى في فضله وحسنه وانه الصراط المستقيم صراط الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا وقد تقدم انا لم يذكره بعض العامة مما قوله اذا كانت
لكم حاجة فاسئلوني عنها حدثني بها فان امري وامر احمد من اهل العلم ولا
في شيء من كتب الحديث وانما المشروع الصلاة عليه في كل دعاء
هو في شيء من ذكر لفعل الدعاء الاستسقاء وغيره وذكروا الامر بالصلاة
وهذا انما ذكر لفعل شرع للمسلمين في هذا وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين
عليه لم يذكروا انما شرع للمسلمين في هذا وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه الطيبين الطاهرين
وسلم

تمت المسألة على يد كاتبها عفى الله عنه
صبح احد وعشرين من شهر رمضان
السب وصلى الله على
محمد

وعلى اله وحزبه وسلم
على هذا النبي الكريم والرسول العظيم
محمد عليه افضل الصلوة والسلام

بلوغ الخط في لقر
طاسر جهار كتابه ريم في
التراب

لكن تحدثه النفس ما معتبر بالبر كالبر رجل ليلة لظلم ففي عطافيه الاثنا برد ته
ابن ما يعلم الله من دين ومن كرم

وقف

هذه نظم الجواهر في النواهي والاوامر للشيخ الاصول والعقيدة و
المسائل الجامعة العزيزة محمد بن سنوسي قدس الله روحه ونور ضريحه

ارى المجد صعبا غير سهل التناول ... شديدا ابيا معجزا للمحاول
بعيد مرام نائيا من يحوزه ... يضن على اهل الدنايا والارذل
واهل العلى قد نافسوا في اكتسابه ... فكانوا به احياء الجنا د لل
فلم يجدوا الا باهتمام ورغبة ... وقوة عزم في اكتساب الفضائل
وغايته تعنو الاله فانها ... تبوئ الجنات اعلا المنازل
وتنجي الفتى يوم الجزا وبجيره ... من النار دار الخزي ذات السلاسل
وما نال للتوفيق من الناس كلهم ... سوى تارك للمنع للامر فاعل

فصل في معنى قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

لعمر الله ما لم يهتد بكتابه ... وسنة من قد جاء فالله لا يل
فليس الى المولى سبيل سواهما ... لكل ولي الولاية واصل
وعنها سئل الشاطبي مترجما ... فبلاكها في سهلكات الجاهل
وهما الاولياء الاذوا العلم والتقى ... بايمانهم فازوا بخير المحاصل
اولئك لا هم يحزنون ولا هم ... يخافون في الاخرى عظيم المهاول
لهم في كلا الدارين سبراؤهم ... هم السابقون السابقون بما ثل

فصل في بيان المعاني الذين هم اولياء الله

واقسم بانا ان الولاية والورى ... سوى تابع للشرع من كل فاضل
فصلاته في المؤمنين وهل اتى ... وفي سورة الانفال شاهدها جلي

بيد افتتح الدم

به افتتح الله العظيم كتابه ۞ فقال هذا للمتقين العوامل ۞
وهم منه اقاموا الصلاة بوقتها ۞ وجاؤا بمسنوناتها والنوافل ۞
وان كان في اهل الاعمال طيبة بها ۞ نفوس هم بل ينفقون بفاضل ۞
منه الرزق بل هم يؤمنون بما اتى ۞ اليهم من التنزيل او مثل نازل ۞
وقد عرفوا الاخرى وحق اليقين لها ۞ وحازوا جميع البر ما فوق عامل ۞
وقد آمنوا بالغيب فاح لهم هدا ۞ وما سمعوا من علم اهل الرسائل ۞
اولئك كانوا المتقين على هدى ۞ من الرب هم اهل الفلاح بآجل ۞

فصل في معرفة الله بالكتاب والسنة

وللسنة الصحف الصحيح ما عقد ۞ على نهج اصحاب الحديث الكوامل ۞
فتشهد ان لا يستحق عباده ۞ سوى فاطر السبع العلى والاسافل ۞
ولو كان في ما بيننا غير الهنا ۞ لادى الى افسادها والتباذل ۞
ولو كان غير الواحد الفرد خالقا ۞ لادى الى قبح التحكم والتجادل ۞
وليذهب كل بما كان خالقا ۞ وليطلب الكل العلا بالتقاتل ۞
فسبحان ربي عن شريك ووالد ۞ وابن وعن ضد ونِدٍّ وباطل ۞
وانت صفات الله حقا كما اتت ۞ واياك ان تصغي لقاول جاهل ۞
واثبت من التشبيه ان كنت مسلما ۞ وجانب ذوي التعطيل من كل عاذل ۞
وحاذر من التأويل مزخرفا ۞ يعدك عن نهج الهدى متجادل ۞
وانك معتبرا بقول مزخرف ۞ يعدك عن نهج الهدى متجادل ۞
هو الحي والباقي سميع ومبصر ۞ عليم مريد الكون سبحان فاعل ۞
هو الحي والباقي سميع ومبصر ۞ عليم مريد الكون سبحان قائل ۞
وقدير على ما يشاء ويه متكلم ۞ يقول الحق سبحان قائل ۞

فصل في الايمان بان القرآن كلام الله حروفه ومعناه

وآمن بان الحق عز جلاله ۞ تكلم بالقرآن اشرف نازل ۞
وما قد حوته الدفتان كلامه ۞ يقينا به جاءت صحاح الدلائل ۞
وما العزب وجه المسطق الطهر عائشة ۞ وذلك صح عنها في نقل فاضل ۞
وقوله فالحمد لله والمنة ۞ تمام له الاسلاف من كل فاضل ۞

وما فيه حق من مكلف منزه ناقصا ومن زاد حرفا عامدا غير عاقل
بتكفيره قال الافاضل كافتي فلا تغترر يا ذا العقول الاجاهل
على ذلك الاجماع من كل مسلم حكاه عياض والنواوي فقابل

فصل في الايمان بالفوقية والاستوى والنزول وفي جميع الصفات بلا كيف ولا تشبيه

وامنا بان الله فوق عباده بلا جهة تحويه لارأى عاقل
بسبعة ملك اتيانه كلاهما بدل بان الله فوق السماء على
وفي سجدة مع فاطر ثم فصلت وفي النحل مذكور وسورة سائل
وفي الطول الاولى الثلاث بعلوه بتفصيل اجالي لها كل عاقل
وفي معضلي جاء فوق عباده نخاسمها فانظر لتصريح ماثل
ولولم يكن الا عروج محمد اليه به الجام كل محاد ل
على عرشه في سبع آي الدلائل وهكذا استوى عالم حل جلاله
وفي نصف شعبان فياحبذا فاز له وهكذا نزول الله في كل ليلة
الى طبق الدنيا ينادي عباده الا هل مني توبا لي وسائل
فنزلانه كيف شاء كما استوى وبالعقل الحكم سبحان فاصل
ويكشف عن ساق فيسجد مؤمنا بعقوده في سالفات الاوائل
وكل بيدي والتعالو جهه ففي سورة الرحمن خير الدلائل
وآدم خلق باليدين لربنا فقال على ابليس ما منع العاقل
بيداه هي مبسوطتان بجوده وانفاقه ان شاء واغنا عائل
وكلتاهما يمنى بذلك صرحت احاديث لا تخفى على كل عاقل
وتطوي السموات العلى بيمينه وقبضته الارض بوم الزلازل
وان قلوب الخلق بين اصابع يقلبها ان شاء فاعلم فاعل
وما جاء في العينين مع قدم له وما جاء في هذا من مشاكل
وما كان من حب وبغض ومارض وسخط وما قد صح في نقل ناقل
عن النفي والتعطيل جل صفاته وعن كل تخييل ببالك جائل

فليس

فليست صفات السعد وكذا ضده ٭ تعالت وجلت عن شبيه مماثل
فما مثلا كمثلها مثل ما ثبت ٭ فهذا سبيل النص لا بالمماثل

فصل في الايمان بان الله تعالى يرى في الآخرة

وان جميع المؤمنين يرونه ٭ كرؤية بدر التم من غير حائل
وجوه نظيرات وتنظر بها ٭ بحسنه في محكمات الدلائل
ويحجب عنه الكافرون ومثلها ٭ عذا منكرا بالاعتزال المعاتل

فصل بالايمان بالاقدار خيرها وشرها

وامنا بأقدار الاله جميعها ٭ وسلمنا ما صح واحذر مجادل
فما اخطأ الانسان ليس يصيبه ٭ وما صابه قطعا فليس بزائل
وما شاء من امر الجنان لابد كائن ٭ وما لم يشأ وهو سبحانه غير حاصل
وقدر افعال العباد بأسرها ٭ واحصاها كتبا فسبحان فاعل
وصيرها تجري على وفق علمه ٭ من الكفر والايمان في حكم عادل
وافعالهم خلق له وهي كسبهم ٭ لان بها يجزى الجزا كل عامل
ولم يكن بالعصيان والكفر راضيا ٭ ولكنه سر خفي جميل العقائل
ولا ذلك مجبا ما قدر على ٭ معاصيه مثل الجهل المتكاسل
فحجته ما مر بالنزال كتبه ٭ وبعثته رسلا له بالرسائل
ولم يأمر العاصي ولم يك مجبرا ٭ لعبد على فعل الذنوب العوائل

فصل في الايمان بانه قول وفعل واعتقاد يزيد وينقص

والايمانا قول وعقد مطهر ٭ وفعل عن الوحيين ليس بعادل
يزيد مع الطاعات والعلم والتقى ٭ وينقص بالعصيان او جهل جاهل
وبجمعه بضع وسبعون شعبة ٭ واعلاه قول التوحيد من كل قائل
ورفع الاذى والطرق اذ شعابه ٭ ومنه الحيا لا كلها غير كامل
والايمانا معناه تصديق جازم ٭ وصدا قه قد جاء في النص قائل

واسلامنا استسلام تابع امرنا ۞ لاحكامنا نتقاد شاهدها جلي ۞
بما قالت الاعراب في الحجرات دعاوى ۞ ذوي البرد العوفاء الاجاهل ۞

فصل في بيان ان كان الاسلام وان الصلاة ثانية الاركان

وان كان هذا الدين اصاح جمعه ۞ اتت في صحاح النقل عن كل ناقل ۞
رواه البخاري في الصحيح ومسلم ۞ وكل امام عمدة للادلة ۞
فما بعد توحيد الاله فريضة ۞ هي الصلوات الخمس اعلا الفضائل ۞
وفي ليلة الاسرى عام كان فرضها ۞ على خير خلق الله ختم الرسائل ۞
وبيطة باوقات لها ليس تختفي ۞ على كل ذي تكليف عند الله واصل ۞
في فقد عليها في ادا شروطها ۞ واركانها والواجبات لها تالي ۞
فمن تركها قد عد اسوء سارق ۞ ومانعها يعامله مثل كافل ۞
واجمع عليها في الجماعات بيتها ۞ جماعتها هذا الدين طوبى لفاعل ۞
اقام لدين الله من قد اقامها ۞ وهادمها هدم الدين فقاتل ۞
وآخر معقود من الدين فعلها ۞ فما بعدها دين لاهل التغافل ۞
جماعتها مشروعة للعوادي ۞ وانا سلام بيننا وبين اهلها ۞
بسبع وعشرين بنص الدلائل ۞ بخمس وعشرين صلاة لواحد ۞
وحاجدها بالاتفاق فكافر ۞ وعند الحنفية للتكاسل ۞
ولا تقبل من قبل الاداء فيها ۞ مزاحال اهل العلم من كل عاقل ۞

فصل في الزكاة وهي ثالثة الاركان

وادا زكاة المال ما صاح انها ۞ لثالثة الاركان وضعا فاقبل ۞
فكم ذكرت مقرونة بصلاتنا ۞ وكم جاهلي سيل الفاعل ۞
وكم اتلفت للمال يوما بمنعها ۞ كما كان صنادا معها من عقائل ۞
ولا تحسبن الباخلين ببذلها ۞ لهم ذاك خيرا بل هو شر حاصل ۞
سيطوق قوا في الحشر ما بخلوا به ۞ شجاعا من الحيات شر مجادل ۞
وكم من يجي يوم القيمة حاملا ۞ بعيرا وشاة فيا ويل حامل ۞

ومن يجد

ومن بعد ان تحمى سنكون جنينه ... وجنب وظم ذا جزا كلها حل
وجاحدها بعد الوعاية كافر ... لم فقتلا بالسيف والجمع ماثل
وها شغها ان كان صاحب شوكة ... ولم يكن يجب بالقتال وفاعل
الى ان تؤدى طائعا حق ربه ... كفعل ابا بكر امام الافاضل
وواجبها الصوم والحج خامسه ... اداؤهما فرض على كل عاقل
بذكرهما تم قواعد ديننا ... فبفعلهما صاح بادر وعاجل
رضينا عه جملة الوحش والاذى ... ولا نك ترضى منهما وتحادل
من الصائمين الغائمين العوامل ... فمن شهد الشهر المعظم فليكن
ولا شك من يجحدهما فهو كافر ... به صح اجماع الهداة الاماثل
ومن شهر شوال فانو ستة ... يكون كصوم الدهر هو معادل
ويوم وقوف الناس صمه فانه ... يكفر عامين باثبات ناقل
ويوم يوم عاشوراء احتسابا فانه ... يكفر عاما واضحا الدلائل
وصم يوم التطوع ما فعلته ... ولا تكثرن عنه اجر الجميع بغافل
وان تستطع حج التطوع فافعلن ... ويرجع كالمولود من بطن حامله
فمن حج بيت الله حطت ذنوبه ...

فصل في حقوق الوالدين والتحذير من العقوق

ومن حقوق الوالدين فانها ... تلى حقوق الله من غير فاصل
رضا الله بالمرء مقرون رضاهما ... وشكرهما شكر الاله بالمرء شامل
فلا تكفرن عند بذل حقوقهما ... ولا تك يوما عاصيا بالمظالم
وقل لهما قولا كريما ولا تقل ... لأف ولا تسمعهما قول باطل
وحافظ على بذل الدعا لكليهما ... لربك يا نعم المجيب لسائل
وعد عقوق الوالدين نبينا ... من الموبقات السبع يا ويل غافل
وقد جاء ذا في سورة النحل ... وفي سورة الاسرى عظيم الدلائل

فصل في حقوق الاولاد على الوالد

كذلك وللاولاد حق فلا تكن ... عن الحق اعمى وبصدقه غافل
فقد جاء في الشرع الشريف على الذي ... نجابته ام من كرام العشائل

وتحسين اسم عند وضع ولادة ۞ وتعليمه القرآن خير المحاصل ۞
وتعليمه ما فيه اصلاح دينه ۞ ودنياه بالاداب فاقهض وعامل ۞
وترويجه عند البلوغ بكاعب ۞ تقيّة دين ذات حسن معادل ۞
تحصن منه الخائنات عن الخنا ۞ ويزجره عن سيئ فعل الاجاهل ۞

فصل في صلة الرحم والتحذير عن قطعها ۞

وصل ذي الارحام سنّي خليقة ۞ لاهل النهى والاكرمين الاماثل ۞
فمن قطعها اثم كبير لقاطع ۞ وفي وصلها اجر جزيل لواصل ۞
ولو لم يكن فيها سوى المجد كافيا ۞ فكيف وما للوصل في الذكر عاجل ۞
وقد امر الله العباد وحثهم ۞ فيا ويل ذي الارحام ليس بفاعل ۞
على ان يكون ابنهم ذي تودد ۞ وايتاء حقوق الاقرباء واصل ۞
وان لم يصل يا ذا الضلال بزيارة ۞ وان لم يزر فليبعث سلاما ورسل ۞
فلا ينزل الرحمن رحمته على ۞ فؤاد مجلس فيهم متقطع فعازل ۞
وفي الرعد لعن القاطعين وفي اللحى ۞ محمد مذكورها في التنازل ۞
وفي الرعد وعد الواصلين فتبله ۞ بجنات عدن طيبات المنازل ۞

فصل في الاحسان الى اليتيم والتحذير عن اكل ماله ۞

واحسن الى الايتام واصبح وامسي ۞ واطعمهم من طيبات المآكل ۞
يليتني قلبا قاسيا مثل لوبكن ۞ تعرّاك ايك امس من اصم الجنادل ۞
وقال رسول الله اني وكافل ۞ اليتيم كهاتين فطوبا الكافل ۞
ولا تطمعن لليتيم يقاهر ۞ وتاكل حوبا للمال يا ويل آكل ۞
فكم كله يصلى جهنم وغدة ۞ ويطعم ذا الاحقاد للمتناعل ۞
فتابت لحم الجرم عذّي به ۞ به النار اولى من صديق مخاتل ۞

فصل

فصل في التحذير عن قتل النفس بغير حق

ومن يقتل النفس الحرام تعمدا ... فلا بد ما يصلى الجحيم لقاتل
ويجعل سلطانا لآخذ ثاره ... من الاولياء حقا على قتل قاتل
ويلقى على الله في العرض غاضبا ... ويلعنه حد جاء فيه ما نزل
ويجزيه عذابا دائما يقاطعا ... معذبا او ملقا معذبة كل هائل

فصل في التحذير عن اللواط والزنا

وان ذلك لواط وانك زانيا ... من الذنوب التي للشيطان شر الحبائل
واعظم عند الله ذنبا كذنب من ... يضع نطفة في فرج عرا الحلايل
سيخزيهما الرحمن يبني عباده ... فيا ويل مفعولا ويا ويل فاعل

فصل في التحذير عن التجبر والتكبر والظلم

وانك جبار وانك متكبرا ... فويل لجبار عن الحق ما يل
وانك بغى ما للرعية ما لما ... وانك بغى ما للعضوض بآكل
سيدفع للمظلوم ما قد عملته ... من الخير والاحسان في حكم عادل
وان لم يكن في حظ من سيئاتهم ... عليك فتمشي في جواز السلاسل
وما ذر دعا المظلوم منك تنفسا ... سينصر قطعا لكن غير عاجل

فصل في التحذير عن شرب الخمر واكل الربا

وانك يوما للخمور لشارب ... فشان بها يسعى عذاب طاحل
فسحقا لها ام الخبائث كلها ... فكم انتجت منها قبيح الفعائل
وكن ساعيا ناصحا حاذرا من الربا ... ومن كل ما يلقى له في المعامل
فان ما ربا تعقبه كذلك نكبة ... حسار فجانبا فاعلم وعاين

وان الذي اسعون ما با اقلها ۞ كنكحك انثى الوالدين مقابل ۞
وقد جاء في القرآن قوله ذروا الربا ۞ فان لم تتركوا فاذنوا حرب عادل ۞

فصل في التحذير من الربا والحسد والغيبة والنميمة

۞ ولا تك بالاجمال يوما مرائيا ۞ فان الرياء شرك ينقض الدلائل ۞
فويل لمن كان يعمل بالريا ۞ بطاعة الله ليس يقبل عامل ۞
ولا تك حساد الصاحب نعمة ۞ فاول ذنب حسدا هل الفضائل ۞
ولا تك سعيا بالنميمة ماشيا ۞ ولا تك يعيا للحديث بناقل ۞
ففي محكم القرآن سمى فاسقا ۞ فيا ويل نمام يقول بباطل ۞
ولا تك هماز ولا تك لعانا ۞ وان قلته بالبهتان يا ويل قائل ۞
ومن يكتسب اثما ويرمي بريئا ۞ فقد حمل الاثام يا ويل حاملي ۞

فصل في النهي عن العزوبة وعبادة الزنوج ورمي المحصنات

۞ ولا تك يوما للعزوبة سالكا ۞ سبيل من يرضى مخالفا بالحبائل ۞
ودع عنك ما صلى الغلى لسلعة ۞ فلا اخلق الحلاق عند التعامل ۞
ودع عنك منازل الشهوات انها ۞ لمن مهلكات العبد بحر الغوائل ۞
ودع عنك رمي المحصنات الغافلات ۞ ولا سيما من مؤمنات غوافل ۞
ودع عنك شرب الخمر فانه ۞ فتلعنه الدنيا وتلعنه آخرا ۞ وكن حذرا من التعذيب اعظم هائل ۞
لدى موقف فيه الاله وان جل ۞ ستشهد والايدي على كل عامل ۞

فصل في حفظ القرآن وانه حجة لك او عليك

۞ ومن يحفظ القرآن غيبا فانه ۞ ينال المراجي على كل آمل ۞
ولو كان ذا الفرقان في بعض اهبة ۞ لما مستعار فكن بحامل ۞
وبادر الى ما كان يامر فاعتمر ۞ وما كان ينهى عنه جانب وعاتل ۞

بعد ان تكن تعمل مكن لك حجة ... وبالعكس من اقرع عن الحق عادل

فصل فى العلم واكرام العلماء

وبادر الى حفظ العلوم بجهدها ... ورغب عليها فى الصحيح والاصائل
فان طلاب العلم بالنص واجب ... عنيت الذى يحتاجه كل عاقل
وان لطلاب العلم اعظم رتبة ... لها حكم تنزيل من الله فاسئل
سر متعلما من طلب علمه ... وهل يستوى ذا العلم مع كل جاهل
واكرم اهل العلم لاشك فاضلا ... فهم امناء الله من كل عاقل
وهم عند نا كالانبياء وحبرهم ... كما قاله المختار اصدق قائل
وهم حرس شرع نبينا ... حماة له عن بدع اهل الاباطل
لانهم بعظمهم حفوا الحقه ... حكمنا به فى الارذلين الاسافل
ومنكم بعظيمهم فقد كان الهرة ... على ذا اتفاق الصالحين الاوائل

فصل فى اكرام الضيف

واكرم لضيف الله ان عرجت به ... صنوف العطايا فوق نضى الرواحل
يثيبك مالا حتى من الكرم الذى ... يكون به نيل العلى والفضائل
فواجبه فى الشرع يوم وليلة ... وندب ثلاثا جاء عن كل فاضل
وان زدت زاد الله فى الاجر فى غنى ... فقد دب باطعام الضيف فابسلى
وقد مدح الله الكريم خليله ... باكرامه الاضياف من كل فاضل
وما جاء فى القرآن من ذا بتة ... الى الضيف بالعجل الحنيذ بعاجل
ولم ياكل ابراهيم طعاما وحده ... فليس بنال العرف الا بآكل
وكان الهاشمى الكارم والذى ... فمن اجل هذا خصه باسم المخايل

فصل في حق الجار على الجار

وهم بحقوق الجار واعلم بانها ... حقوق على الايجاب عند الافاضل
فمن كان يؤمن بالاله وبعثه ... باكرام للجار حقا يقابل
وجبرئنا فاعلم هديت ثلاثة ... فلا تك عن اكرامهم ذا تغافل
فجار له حق وجار ثلاثة ... وجار له حقا فاكرم بباذل
وقال رسول الله لازال موصيا ... اخي جبرئيل لي بجار مناضل

فصل في حسن الخلق وكظم الغيظ

ولكن اخذ العرف بالعرف آمرا ... وكن معرضا بالحلم عن كل جاهل
وللغيظ فاكظم واعف عن كل مجرم ... وذا السوء بالاحسان جازه وعامل
وليس شديد البطش صارع غيره ... ولكن منيع هواه بعاجل
وامر رسول الله منقال اوصني ... فكرر لا تغضب ثلاثا لسائل

فصل في انفاق المال في مواضعه والحث على الجود

وكن في جميع المجد طلاع انجد ... على الحق لا تبغي بقول العواذل
بانفاقك الاموال في كل موضع ... لها مثل اداء غنم واغنا عائل
فما جاد بذل لا ولا ساد بخله ... وليس يكون المجد الا بباذل
وكم من قليل الجد عز بجوده ... وبقعة ملك الاعاجم الاباخل

فصل في الصدقات وما فيها والرفق بالفقير

ومن يصرف لحفها عن شماله ... يظل بظل العرش يوم المهاول
وصايدها لو انها شوكة ... فيانعها من تقية للمناول

ويقبلها

ويقبل الرحمن من متصدق ... بيمناه قبل الأخذ للمتناول
وعن دائع تطغى الخطيئة كلها ... كما الماء يطفي النار ذات المشاعل
وللمال حفظ والمريض دواؤه ... بإخراجها قد صح عن كل فاضل
وكن حافظا منك الجناح لمؤمن ... مغير ولا تنهر بيوم لسائل

فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وآمر بمعروف وتغيير منكر ... تعرض عنا بالضحى والأصائل
وإعلاه فعل ثم بالقول بعده ... وأدناه بالقلب الضعيف المنازل
وإن لم تر الوالي أمر وإرشاد كم ... وتنهى عن الغي القبيح الرعائل
وإلا فسلط ناسلطه ربكم ... عليكم ظلوما جائرا غير عادل
وحق ظلم هذا إبليس بعينه ... صغيرا وإلا يرتشي لشيبة عاقل
وإخباركم يدعوه بالنصر ربكم ... فلا يستجيب الله منهم لسائل
وذا ماله من ليس ينطق عن هوى ... يشاهده في عصرنا كل عاقل
وقد نطق القرآن ولعنا أمة ... خلت قبلنا كفرا فحل بها الأوائل
ولم يك ينهى البعض بعضا عن الغوى ... ولم يك محمودا بهم عذل عاذل
وقد حكم قد كنتم خير أمة ... بأمر ونهي تزجران لجاهل

فصل في الإمام وتاليه وما له من الخروج عن طاعته إن

وإن كنت كارها هذا ما لم تجب ... على طاعة الرحمن فاهض وقاتل
وقابل بصبر في الحروب وضيقها ... ولو كان فيها جرع لب الحناظل
وقتية بيضا ذوي شطب الحدة ... تجز لأعناق العدا والكواهل

وقنية ذى حراب حوار يا ... منا السمهريات الرماح الذوابل
وبعداد الات الحروب باسرها ... درو عا وبيضا واقتناة الرواحل
منا الهجن ابكارا واكثر عودن ... بقطع مسافات وطى مراحل
وبعداد خيل صافنات عوادى ... منا العربيات الجياد الصواهل
وغاراتها صبحا على كل معشر ... واسرا تها قدحا بصم الجنادل
وتنويرها نقعا من الارض عالبا ... حجابا لعين الشمس عن عين كاهل
وتوسطن جمعا للعدا فشتتت ... بهن صبيح للجموع الحافل
عليهن رجال كالاسود فوارس ... حريبون لا يخشون ضرب المقاتل
وعند التقا الصفين فى البأس حربط ... بتغليقها هامات الاعدا بالعواصل
وجعلهم صرعى جذاذ كانهم ... كاعجاز نخل خلقة بالمناصل
هذا جزاء المعشر المؤثر اصله ... عداة الدين الاعداء جاهلية
وهذا هو المجد المؤثل ذكرهم ... ذكرت ولم اذكر فروع الفضائل
وبعد بحمد الله ثم بحسن نظمها ... مصرحة الالفاظ حسنا لكامل
ويختمها بالسلام مكررا ... على المصطفى والال والصحب شامل
فكم شرفا حاز واعز ومفخرا ... بدور الدجا ذكرهم بالمحافل
فصل وسلم دائما وسرمدا ... مدى الدهر ما دام الضحى والاصائل

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

السلفي الشافعي

عقيدة الشيباني (رحمه الله تعالى)

سأحمد ربي طاعة وتعبدا ... وانظم عقدا في العقيدة أوحدا
وأشهد أن الله لا رب غيره ... تعالى وقدما بالبقاء تفردا
هو الأول المبدي بقدرته الذي ... وآخر من يبقى مقيما مؤبدا
سميع بصير عالم متكلم ... قدير يعيد العالمين كما بدا
مريد أراد الكائنات لوقتها ... قديم فما شاء الإله وجدا
إله على عرش السماء استوى ... وبائن مخلوقاته وتوحدا
فلا جهة تحوي الإله ولا له ... مكان تعالى ربنا وتمجدا
إذ الكون مخلوق ورب خالق ... وقد كان قبل الكون ربا وسيدا
ولا حل في شيء تعالى ولم يزل ... غنيا حميدا دائم العز سرمدا
وليس كمثل الله شيء ولا له ... شبيه تعالى ربنا وتمجدا
ولا عينه في الدنيا تراه لعزه ... سوى المصطفى إذ كان بالوحي أفردا
وما نال في الدنيا يراه بعينه ... فوا ذاك قد ضاق طيا وبددا
وخالف رسل الله والكتب كلها ... وزاغ عن الشرع الشريف وأبعدا
وذاك وهذاك ممن قال فيه الهنا ... يرى يوم القيمة اسودا (وجهه)
ولكن يراه في الجنان عباده ... كما صح في الأخبار نراه مسندا
ونعتقد القرآن تنزيل ربنا ... به جاء جبريل إلى النبي محمدا

وانزله وحيا اليه وانه ۞ هدى الله ما طوى به لمن اهتدى ۞
كلام قديم منزل غير محدث ۞ بامر ونهى والدليل تاكدا
كلام اله العالمين حقيقة ۞ ممن شك في هذا فقد ضل وعندا
ومنه بدا قولا قد علو انه ۞ يعود الى الرحمن حقا كما بدا
وان كلام الله ليس بخالق ۞ بعض صفاته وحلت صفات الله ان تتحدا
فمن شك في شيء يليق هو ۞ ومن زاد فيه فقد طغى وتمردا
ومن قال مخلوق فكلام الهنا ۞ فقد خالف الاجماع فيه والحدا
ونكتبه في الصحف حرفا محررا ۞ ونتلوه قرآنا كما جاء مخبرا
ونؤمن بالكتب التي قد انزله ۞ وبالرسل جملا لا نفرق كاحدا
ونؤمن بالكتب التي قد انزله ۞ وبالرسل جملا لا نفرق كاحدا
وايماننا قول وفعل ونية ۞ وتزداد بالتقوى وينقص بالردى
فلا مذهب التشبيه زين صاحبه ۞ ولا مذهب التعطيل نرضاه مقصدا
ولكن بالقرآن نهدي ونهتدي ۞ فقد فاز بالقرآن عبد تهدى
وتشترط في القول من نطق قائلا ۞ على النطق للايمان فاحفظ تفهدا
ونؤمن ان الخير والشر كله ۞ مقدر تقديرا على العبد عيدا
فما شاء رب العرش كان بامره ۞ وما لم يشأ لا كان في الكون موجدا
ولم نر تاثيرا لشيء بنفسه ۞ كذا قاله الجهم حقا مسددا
ونؤمن ان الموت حق وانما ۞ سنبعث حقا بعد موتنا غدا

وان عذاب

وانا عزابا العبد حقا وانه ... على الروح والجسم الذى فيه الحدا
ومنكر ثم النكير بصحة ... هما يسئلان العبد فالقبر مقعدا
وميزان نارى والصراط حقيقة ... وجنته والنار لم تخلقا سدى
وحوض رسول الله حقا اعده ... له الله دون الرسل ماء صرددا
ويشرب منه المؤمنون وكل من ... يسعى منه كاسا يذق بعده صدا
اباريقه عدد النجوم وعرضه ... كبصرى وصنعا فى المسافة جودا
وانه ارسل رسله ... الى خلقه هدى بكل منهدى
وانه افضل من مشى ... على الارض منا ولاد آدم اوعدى
وارسله بالنور والله جهة ... الى الثقلين الانس والجن فرشدا
واسرى به ليلا الى العرش رفعة ... وادناه منه قاب قوسين مسعدا
وخص موسى ربنا بكلامه ... على الطور ناداه واسمعه الندا
وكل نبى خصه بفضيلة ... وخص بروياه النبى محمدا
واعطاه والحشر الشفاعة مثلما ... له ذخرا للصالحين الى غدا
فمن شك فيها امنها ومناكها ... شفيعا له قدنا لغوز واسعدا
وشفع بعد المصطفى كل مرسل ... لمن عاش فى الدنيا ومات موحدا
وكل نبى شافع ومشفع ... وكل ولى فى جماعة عندا
ويغفر دون الشرك ربى لمن يشا ... ولا مؤمن الا له كافر فدا
ولم يبق فى نار الجحيم موحد ... ولو قتل النفس الحرام معمدا

قوله وما يقع الخ هذا
هو الصحيح الخ

وأشهد أن الله خص رسوله ... بأصحاب الأبرار فضلا وأيدا
وهم خير خلق الله بعد نبيه ... بهم يقتدى بالدين كل من اهتدى
وأفضلهم بعد النبي محمد ... أبو بكر الصديق ذو الفضل والنهى
لقد صدق المختار في كل قوله ... وآمن قبل الناس حقا ووحدا
وأفداه يوم الغار طوعا بنفسه ... وواساه بالأموال حين تجردا
ومن بعده الفاروق لا أنسى فضله ... فقد كان للإسلام ركنا مشيدا
لعمري فتح الفاروق بالسيف عنوة ... جميع بلاد الملحدين وعبدا
وأظهر دين الله بعد اختفائه ... وأطفأ نار المشركين وأخمدا
وعثمان ذا النورين من يملأ السما ... وقد قام دهرا بالقرآن مهجدا
وجهز جيش العسرة بماله ... وتم به للمختار والصحب مسجدا
وبايع عنه المصطفى بيمناه ... مبايعة الرضوان حقا وأسعدا
وأثنى عليه المصطفى وابن عمه ... فقد كان حبرا للعلوم مسددا
وأعدد رسول الله حقا بنفسه ... عشيرته لما بالعشيرة أنذرا
وقد كان مولاه النبي فقد عزا ... عليا له مولا بحق ومنجدا
وكان مولاه النبي فقد غنى ... وكان بن عوف باذل المال منفقا
وكان بن جراح أمينا مؤيدا ... وأثنى عليه باقي صحبه وأهل بيته
وأنصاره والتابعين على الهدى ... فكلهم أثنى الإله عليهم
وأثنى رسول الله أيضا وأكثرا ... فلا تلك عبد الفضل فتعتدي
فويل فويل ثم ويل لمن اعتدى

مجيبا

بدا

مجيبا جميع الال والصحب مذهبي ... عند ابهم ان جوا النعيم المؤبدا
وتسكت عن حرب الصحابة فالذي ... جرا بينهم كان اجتهادا مجردا
وقد صح في الاخبار ان مسيلهم ... وقاتلهم في جنة الخلد خلدا
فهذا اعتقاد الشافعي الهمام ... ومالك والنعمان ايضا واحدا
فمن يعتقد الكل منهم مؤمن ... ومتبع عنه جاحدا فهو مفسدا
فيا رب بالطف جميعا كحبة ... مباركة تتلو سلاما ممجدا
وخص الامام الشافعي برحمة ... واسكنه في الفردوس قصرا مشيدا
لقد كان حبرا للعلوم وعارفا ... باحكام دينا امة ايضا وسيدا
واسالك يا رب ان تثبت ديننا ... علينا وتهدينا الصراط كما هدى
ونعفو عنا رحمة وتكرما ... وتحشرنا في زمرة المصطفى غدا
عليه صلى الله ما هبت الصبا ... وما صاح طير فوق غصن وغردا
كذا سلام الله يغمر رضاؤه ... على الآل والازواج والصحب سرمدا

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين وعلى المرسلين
وسائر النبيين
امين
ع

هذه مرثية في الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية لعبد الرحمن بن خلف

لعل عذولي قلبي نار الهوى ... وذاب فؤادي من فراق الاحبة
وزاد غرامي واشتياقي الى الحمى ... وهيج بلبالي حنيني ولوعتي
وفيا عظم احزاني ووجدي عليهم ... وما طول اشواقي اليهم ووحشتي
ملاءت النواحي من نواحي وكيف لا ... انوح على قوم وهم خير جيرتي
فكم اسقيا ما نقضت بعزهم ... ومن عيشتي لما تولوا تولتي
ومن عجبي نخاصة النبهم ... وهم سالكوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرت فكم اشتاق ان وصالهم ... ادنى لبال بالعقيق تقضتي
منازل احبابي مواطن سادتي ... مطالع انواري سروري اهلتي
معاهد افراحي ديار سعادتي ... مواسم ارباحي اوقات لذتي
مضت وانقضت عني كانام اكنها ... وما ذاك الا من سوء فعلتي
اذا لم يلح لي بارق من لواحهم ... فيا خيبة المسعى ويا طول شقوتي
وان لم اشاهد حسنهم في مشاهدي ... فقد فاتني سؤلي ومت بحسرتي
وان لم اعانق في العمر بعد ضناهم ... فلا عشت في الدنيا ولا نلت مُنيتي
وحق ابادهم وحسن جمالهم ... وشرط غضوعي في هواهم وذلتي
وحاشا ان اسلو هواهم وحبهم ... يذكرني عهد العهود القديمة
فتى شيقي قلبي برؤيتهم على ... رياض الهنا يلهو ويبرد غلتي

عليهم

علیکم سلام الله ها هبت الصبا ویا ناحة الاطیار سجعا وحنی
وودّ آن ان ابدیه حفایا صبابتی واظم للعذال اصل ارزنی
وابکی علی ما کان یجمع شملنا علی طاعة الرحمن وکل لمحق
واسلیه احزانی عا قد اصابنی وانشر اشجانی بنظم قصیدتی
فقد بت اهلها کان اوصد عصره وقد فجعت فیه جمیع البریتی
فقد بت اهلها کان بالعلم عاملا وکان حصینا ما حاکل بدعتی
ای تمسکا بالله والسنة التی علیها وارث تقتا حقا علی کل ملة
ای باحادیث الرسول وشرحها وعمن رواها بالمتون الصحیحة
ای بعلوم العالمین جمعها بزهد وتائید ودین وحکمة
ای باصول الدین والفقه مجملا وفصلها بتفصیل من غیر شبهتی
اتانا باحوال الرسول حقیقة وسیرهم سموا علی کل سرعة
اتانا باحوال الصحابة کلهم وللتابعین الملة المستقیمة
اتانا باوصاف الائمة کلها وصنف کتابا فی صفات الائمة
اتانا بوصف الصالحین وحالهم وما هم علیه جمل العقیدتی
وعلمنا شرع الرسول ودینه باوضح الفاظ واصدق لهجتی
وعلمنا ان النجاة هی الهدی بتمسکنا بالسنة النبویة
وعلمنا ان النجاة هی الهدی بتمسکنا بالسنة النبویة
وحذرنا من کل زیغ وبدعة وعن کل باغ خارج عن محجتی
وناظر بابا العقائد کلهم وبین من قد ظل من کل فرقتی
ورد علی اهل الضلال جمیعهم باوضح برهان وابلغ حجتی

وبنى تكذيبا اليهود وحتهم ... وها بدلوا ذا الملة الموسيّ
واخرهم عاسر اسباب كفرهم ... فنعسالهم مذامة عصبيّ
واظهر ايضا للنصارى ضلالهم ... وها احدثوا في الملة العيسويّ
وباحثهم حرّ تبيانا تهم ... سكارى حياري بالطباع الخبيثة
ورد على كتب الفلاسفة الاولى ... بمعقول احكام ومعقول حكميّ
ورد اثبات النبوة عندهم ... وجال عليهم كرة بعد كرّي
ورد على جهم وجعد بن درهم ... وبشر المريسي عمدة الجهميّ
ورد على قوم اعلكم امن عوالج ... بسوء اعتقاد دائر النفوس السقيمة
وجادل اهل الاعتزال جميعهم ... وسل عليهم سيفه بالادلّي
يقولون قول الله من بعض خلقه ... لعمر لبئس في مقرنا حميّ
وباحث اشياخ الروافض وانشا ... بيانا تلم بالدرة الهمرميّ
لاظهر عادوا خواص محمد ... وسبوا فهم في ال اصل شر الخليقي
ثم اوجبوا افهم الجنس الوراثة ... واكذب خلق الله من كل فرقي
بغوا واشتروا جلا افهم ... فلا مرحبا بالفرقة العدريّ
فكم احدثوا فرقا ضلالة ... ويعدادهم من عصبة تنوبيّ
وهم خصماء الله بالدين هم ... وبعدا لهم من غرّ حجيّ
ورد على قوم مرتبتا نفوسهم ... على النفي والتعطيل من غرّ حجيّ
وكرّ على قوم وشتت شملهم ... وهم اهل تشبيه ابو بكر يّ
ورد على اهل التناسخ عبدة ما ... يجرّ وا وخاضوا في امور عظيمي

ومزقهم

ومن فيهم في كل وادٍ لانهم ... يقولون لا شيء سوى البرن خيبتي
وقد انكروا امر الهادي بقولهم ... تقوس نادت صلي
وجادل اهل الالحاد بقولهم ... الى اشرق المصري واهرى طريقتي
وانقذهم من ظلمة الجهل والعمى ... بنور وبرهان ودين النصيحتي
ورد على اهل الحلول باسرهم ... ورد عم
ورون بجل الحق في كل صورتي
وحد ن عموا ان التجلي مظاهر ... ولا ستيا في صورة امر دبتي
فمن اجل هذا نرى قصة دابة ... وفي قصة جاء الجمل فبحتي
يرون شهود المد والرصد والرصا ... فتاويلهم منها خزي يوم الفضيحتي
ورد على تباع ابليس عندما ... رآهم وقد مالوا الى الجبر بتي
وكم قد طوى علمه من طوائف ... حرمانه منهم على حسو بتي
مطايا شيات الطريق سرتهم ... الى ان اناخوا في عرصة القطيعتي
وزجر آراء العقايد اغرقت ... رسومهم خيالات العقود السخيفتي
وكم قد اراهم كلهم سبل الهدى ... وكم قد هداهم من بعد مرتي
فكم كان قطب الكون في حال عصره ... سواه وكم قد قال بالجبر لتي
شجاع همام بارع في صفاته ... يرى امره الحق في المراة العلتي
يزهد في كل الوجود وغيره ... يدوس على الدنيا بنفس دنيتي
يجود على المسكين في حال عسره ... بما ناله في حب بارئه البرتي
ويلقى الذي يلقاه بالبشر والرضا ... بما وصفه الحسنى ونفس زكيتي

لعله العقيلي

ويدعو الى ما قد قال من تلم عصره ... ولم ينتفع ممن اتى بالاذهبي
سيارع والخيرات سرا وجهرة ... ويلهو عن اللذات في كل طرفتي
يجاهد في الله الكريم بجهده ... بصدق واخلاص وعزم وهمتي
ويامر بالمعروف واجب كسبه ... وينهى عن الفحشا بهمة سيتي
تعمى تعمم طاهر الذيل مدرشا ... كريم السجايا ماذو صفات علي
السي الذي قد شاع في الكون ذكره ... وعم العربا بالغنا والعطيمي
فمن كان ناج العار فخر بوقتنا ... وشيخ الهدى قالي بغير تميمي
هو الحبر والقطب الذي يهتدي به ... وفاح شذاه كالعبير المعتق
اذا ما ذكرنا حاله وصفاته ... كانا حللنا في نعيم ورضتي
هنا ابو العباس بالعز والرضا ... لعمر تلقى كل مرتجو بكل مسرتي
الا يا تقي الدين يا فرد عصره ... سبرق فلك قد لاح كشمس مضيئي
وبانت بكل الناس اوصاف لك التي ... برزت بها هلاء العيون الورى
ظهرت بانواع العلوم وجنسها ... وسارت بها الركبان في كل بلدتي
واظهرت ما قد كان للناس خافيا ... بكل معان والفنون العزيزي
واوضحت اشكالا وبينت مبهما ... وابديت اسرار ابن عباس علمي
وكم قد غصت في بحر المعارف غوصة ... ولجة واستخرجت كل يتيمي
ظهرت باحسان وحسن سماحة ... ودين وتوحيد وكل فضيلتي
خرجت من السجن الذي كان ضائقا ... الى دار خير في رياض فسيحتي
وقد نلت منه مامولا لك ما كنت راجيا ... واشهدك المعنى بعيني وقرتي

حملت على

على النعش الذي كان كتمه ۞ مبانيَ الوفا وبكاءً وضحكتي
على عليل المسلمين جميعهم ۞ بحسن اعتقادٍ منكَ يا شيخ قوتي
الشاكي الممكنات جميعها ۞ خرجتُ حيارى فوجةً بعد فوجةٍ
من ابكار تجلى بالتقى ۞ ينخدبا كباد على حزن بكتي
على الاحكام طوعاً وطاعة ۞ وذقتَ من الآلام طعم البليتي
حمولاً للتعب ثيب كلها ۞ صبورٌ على الاحداث غدار غربتي
شهدتَ جمال الحب وكل حلوتي ۞ تطوف به الارواح في روض جنتي
بانت موجوداً بحالة ضيالة ۞ وشاهدتَ محبوباً بعين البصيرتي
روحتَ الى الحانك والخلة ۞ ربوع منك العلوم الجليلتي
سكنتَ يوم الوداع دموعنا ۞ ولا الكحلة فيك الجفون بغمضتي
احببتَ اسمعا عنك عنك ساعة ۞ ولا استر منك العيون بنضرتي
وقتٌ وانا للنفوس النفيسة ۞ وحالٌ للعقول وراحة
بالوصل الحنين والهدى ۞ وبالعروة الوثقى واصل الشريعتي
الى الدنيا ياحسن مظهر ۞ وحنا الى الاخرى باكمل روحتي
عنا قد ربع من غير راحة ۞ وفارقتنا والدار غير بعيدتي
شربت بكاس العارفين سلافة ۞ صفتها منسترٌ على الحقيقتي
وجبت بفضل الكاس منك تكرما ۞ على بعين السنة الاحمديتي
فسبحان من اعطاك من فيض جوده ۞ لعذب فرات لا ينال بحيلتي
لسود عشق محبوباً وسترٌ مكرما ۞ عليك من الرحمان كل تحيتي
برحت تعلوك انوار انسه ۞ وعز وارتفع
مالك حسنات النعيم مع الذي ۞ تعدد من بين الورى بالوسيلتي
به صلاة الله ذر شارق ۞ وما سكنت ريح الصبا وهبيتي

تمت ولله الحمد والمنة

ومما يستحسن للكعبة ابن زهير لو كنت اعجب من شيئ لاعجبني مشي لفتى

وهو محبوله لقد سعى لفتى يا امور ليس يدركها كالتصبر احرة

ولهم منشر وطرف مادام ممدودا املا لا ينتهي العين حتى ينتهي لا

حتى تنتهي الاثر

يارب اغفر لي وتب علي

للشيخ تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي رحمه الله تعالى

انظر ١٤ ثنة النواة الزيرة

لو لم تكن لي ذنوب مالها عدد ثم تكثر الاعداء مع حسدي وتقدح

كالليل ما هيبة حظ الزنا وعن شمس هيبته الكلاب تنبح

يا مولى شفع العبد لاتي غلبت خطاه طلب العلا وتصبحا

لكنني

كاتبه الفقير عبده

يارب انت ولينا كما وجودا ومن جودك رتبت تقبل تتوبا

يارب انت بفضل ونعمة اغفر لنا جمع الذنوب

كاتبه

يارب اني عالم آنك قادر على غفر الذنوب

فاغفرها لي يا علام الغيوب